الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

الأحوال العامة في مدينة قسنطينة من خلال مؤلفات محمد الصالح العنتري (ت1876م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبتين:
- نقو إيمان.
- بلعربي سهيلة.

إشراف الأستاذ:
– دهمة بوبكر.

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/ الشيخ لكحل	جامعة غرداية	رئيسا
د/ الدهمة بكار	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/ ناصر بلحاج	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:1442هـ– 1443هـ/ 2021م–2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

لما كان شكر العباد هو من تمام شكر رب العباد، ولأن لكل نجاح عرفان وامتنان، فإننا نتوجه نحن الطالبتان إيمان وسميلة بخالص عبارات الشكر والتقدير لكل الذين ساهموا في عملنا هذا من أجل تحقيق هذا النجاح، بداية بالأستاذ "دهمة بوبكر" الذي سهر شخصيا وبكل عناية وحرص على إنجاح بحثنا هذا وتوفير الظروف المناسبة لإجرائه في أحسن الظروف.

كما نتوجّه بأصدق عبارات الشكر كذلك إلى كل الأستاذات والأساتذة الأفاضل بكلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية.

كما نوجه شكرنا الخاص أيضا إلى كل زملاء المشوار الجامعي.

إلى هؤلاء شكرا جزيلا.

إيمان، سميلة

إهداء

إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا

إلى والدي فهما السبب الأول في النجاح.

ولزوجي العزيزرفيقي في النضال من أجل

الحياة..

إلى ابنتي أسماء..

إلى أخواتي.. خيرة، أمال، فاطمة..

صديقاتياللاتي هنأعز رفاقي في كل الأمور

...

أهديكم هذا البحث

سهيلة

إهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب

ومشقة

وها أنا ذا أختم بحث تخرجي بكل همة

ونشاط.

وأمتن لكل من كان له فضل في مسيرتي،

وساعدني ولو باليسير، لأمي وأبي وأختي

شهرة ولمياء وإخوتي

والأصدقاء والأساتذة المبجلين.

إيمان

قائمة المختصرات

باللغة العربية	
الرمز	المختصرات
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
تع	تعليق
مج	مجلد
ج	جزء
ص	صفحة
ق.م	قبل الميلاد

مقدمة

تعد مدينة قسنطينة من بين أقدم مدن المغرب الأوسط التي تعاقبت عليها جل الحضارات السابقة عبر مراحلها التاريخية المختلفة، وقد حظيت هذه المدينة بالسيادة والريادة على الشرق الجزائري طيلة فترة الحكم العثماني للمنطقة، بل وكانت من بين أهم مقاطعات الإيالة الجزائرية في الفترة العثمانية.

وتعتبر مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية الأكثر عراقة بحضارتها وتاريخها وثقافتها فقد كانت عاصمة سياسية وثقافية وإدارية عبر مختلف العصور وخاصة في العهد العثماني، حيث اختارها الحكام العثمانيون على أن تكون عاصمة لبايليك الشرق الجزائري وذلك مما تحظى به من موقع استراتيجي وارث حضاري وثقافي عريق، حيث تعاقب على حكمها العديد من البايات ومن أبرزهم صالح باي الذي كان له الفضل في تطويرها خاصة من الجانب العمراني وتحصينها وإصلاح أوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

لقد كانت قسنطينة محط أنظار الدارسين والمؤرخين الذين أرخوا للأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية والثقافية ومن خلال هذا جاء اختيارنا للموضوع المتعلق بدراسة الأحوال العامة لقسنطينة من خلال مؤلفات صالح العنتري والذي يعد هذا الأخير من بين أبرز الكتاب الذين دونوا ووصفوا مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.

– أهداف الدراسة:

لقد قمنا بهده الدراسة بهدف جمع المادة العلمية التي احتوت على موضوع دراستنا وتصنيفها سواء كانت مصدر أو مرجع.

– تسليط الضوء على مؤلفات صالح العنتري والتعريف بمؤلفاته.

– دراسة الأحوال السياسية وإبراز التنظيم الإداري في قسنطينة.

– معرفة الأوضاع الثقافية والتعرف على أهم المؤسسات الثقافية وأهم العلماء.

– إبراز الحياة الاقتصادية في المجالات (الزراعية والصناعية والتجارية).

– الإطار الزماني والمكاني:

- **الإطار الزماني:**

– أما بالنسبة للإطار الزماني فإن الفترة تشمل من دخول قسنطينة سنة 1515م تحت الحكم العثماني إلى غاية وفاة صالح العنتري سنة 1876م.

- **الإطار المكاني:**

– أما الإطار المكاني فقد شملت الدراسة مدينة قسنطينة.

– إشكالية البحث:

لقد اهتم الكثير من الباحثين في تاريخ مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية مكان منها مدونا في المراجع والمصادر أيضا، ولعل المصدر الذي بين أيدينا هو من المصادر المهمة والضرورية لدراسة هذه المدينة خلال تلك الفترة، فبعد أن أخذنا شغف البحث وحب الاطلاع على تاريخ المدن ومعرفة أحوالها آنذاك حاولنا أن ندرس هذا الموضوع والذي يتعلق أساسا بـ " **الأحوال العامة في مدينة قسنطينة من خلال مؤلفات محمد الصالح العنتري (ت1876م)**" ، ومما سلف فقد تبادر إلى الذهن مجموعة من الإشكاليات والتساؤلات الفرعية حول هذا الموضوع ، ولعل أهم إشكالية تمحورت عليها الدراسة هي:

- **مـــا العوامل التي جعلت من قسنطينة ترقى إلى هذه المرتبة، وكيف عبر عليها صالح العنتري في مؤلفه هذا؟**

وتندرج ضمن هده الإشكاليات مجموعة من الإشكالات الفرعية:

*كيف كانت الأوضاع العامة في قسنطينة خلال العهد العثماني؟

*كيف أثر موقع قسنطينة على الأحوال الحياة العامة التي شهدتها؟

*من هو صالح العنتري ؟ وما هي الصورة التي رسمتها لنا مؤلفاته عن الأوضاع العامة في قسنطينة؟

*ما هي أهم التنظيمات الإدارية والاجتماعية في المدينة؟

*كيف كان حال المؤسسات الثقافية ؟ وما مدى إبراز دورها في نشر العلوم بين فئات المجتمع؟

–المنهج المتبع في الدراسة:

اتبعنا في هذه الدراسة على:

-المنهج التاريخي الوصفي لرصد المعلومات التاريخية ودراستها , أما المنهج الوصفي أفادنا في وصف الأوضاع والأحوال العامة في مدينة قسنطينة من جميع جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

– الخطة المعتمدة في الدراسة:

عنون الفصل الأول على الشكل التالي "التعريف بمدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا" حيث قسمناه إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول تحدثنا فيه عن الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة أما المبحث الثاني عن أصل التسمية وأهم المحطات في تاريخ قسنطينة، أما المبحث الثالث في التعريف بالمؤلف صالح العنتري وعن أهم مؤلفاته التي تحدثت عن تاريخ قسنطينة والذي كان من خلال كتابين عنونهم الأول تاريخ قسنطينة والثاني مجاعات قسنطينة.

أما الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان الأحوال العامة في مدينة قسنطينة من خلال مؤلفات صالح العنتري؛ والذي قسمناه أيضا إلى ثلاثة مباحث؛ في المبحث الأول تناولنا الأوضاع السياسية من ثورات وأهم الأوضاع السياسية، أما في المبحث الثاني الأوضاع الاجتماعية من تقسيمات إدارية وفئات اجتماعية والأحوال الصحية في المدينة، أما المبحث الثالث فذكرنا فيه الأوضاع الثقافية من واقع التعليم إلى أهم المؤسسات الثقافية وأهم العلوم المدرسة وأشهر العلماء.

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان تحت عنوان الأحوال الاقتصادية في مدينة قسنطينة، والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث في المبحث الأول تحدثنا عن الأوضاع الزراعية و أهم المنتوجات الفلاحية وعن الاقطاعات الفلاحية الموزعة ومستخلصات الضرائب المفروضة على سكان قسنطينة،أما المبحث الثاني فكان عن التجارة وأهم الطرق التجارية وأنواع التجارة المعتمدة، أما الفصل الثالث والأخير فكان الحديث فيه عن الصناعة وأهم الصناعات المتعددة.

– أهمية الدراسة:

بالنسبة لموضوع الدراسة الموسوم " **الأحوال العامة في مدينة قسنطينة من خلال مؤلفات العنتري**"هو موضوع في غاية الأهمية حيث يقدم نظرة عامة ومعمقة ومفصلة عن مختلف الحياة العامة في قسنطينة بحيث تكمن أهميته في إعطاء صورة عن واقع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في مختلف الميادين.

– دوافع اختيار الموضوع:

-الميول الشخصي لدراسة هذا الإقليم خلال العهد العثماني.

-تشجيع من طرف الأستاذ.

-التعرف على أهم الجوانب الحضارية لمدينة قسنطينة في العهد العثماني.

– التعرف على أهم الكتاب في العهد العثماني وخاصة في مدينة قسنطينة.

– معرفة دور الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في العهد العثماني تحديدا في مدينة قسنطينة

– أهمية الموضوع بما يحتويه من ثراء معرفي قيم حول معرفة أحوال مدينة قسنطينة.

– دافع الفضول العلمي ورغبة منا للخروج ببحث كمنطلق التركيز على الأحوال العامة في مختلف شرائح المجتمع القسنطيني.

– المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

كما اعتمدنا في دراستنا على هدا الموضوع على العديد من المصادر والمراجع والدراسات الجامعية السابقة لنذكر:

– المصادر المعتمدة:

-صالح العنتري تاريخ قسنطينة حيث أفادنا في معرفة أهم أحداث الدخول العثماني لقسنطينة وذكر أشهر بآيات قسنطينة.

-صالح العنتري مجاعات قسنطينة أفادنا في معرفة الأحداث الاقتصادية التي شهدتها من أزمات ومجاعات وثورات.

-فلندين شلوصر قسنطينة أيام أحمد باي في معرفة المجال الجغرافي وتصنيفات السكانية والتجارة وأهم المراكز التجارية في قسنطينة.

-حسن الوزان أفادنا في معرفة أصل التسمية و الموقع الجغرافي.

- أحمد مبارك، تاريخ بلد قسنطينة 1790-1870،أفادنا في معرفة أهم العلماء والمؤلفات و تاريخ الدخول العثماني إلى قسنطينة.

-حمدان بن عثمان خوجة كتاب المرآة حيث أفادنا في معرفة الأوضاع الاجتماعية والوضع الصحي(الأمراض)في قسنطينة.

-الحاج أحمد الشريف الزهار مذكرة احمد الشريف الزهار نقيب إشراف الجزائر 1753-1830حيث أفادنا في معرفة الثورات التي شهدتها قسنطينة.

- المراجع:

-ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية في التعريف بالمؤلف صالح العنتري وللأحوال الاقتصادية في قسنطينة والنظام الحكم الإداري.

-محمد الهادي المعروف مدينة قسنطينة دراسة في الجغرافية العمران أفادنا هذا المرجع في دراسة الموقع الجغرافي والموقع الفلكي.

- أحمد توفيق المدني أفادنا هذا المرجع في معرفة أهم المدارس التي انتشرت في قسنطينة وواقع التعليم.

-أبو قاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي أفادنا في معرفة الجانب التعليم وواقع الثقافة وأهم العلماء والمؤسسات التعليمية والدينية المختلفة.

-محمد الزبيري التجارة في الشرق الجزائري أفادنا في معرفة أهم الطرق التجارية في قسنطينة وأنواع التجارة والشؤون الزراعية من متنوعات الإيالة.

-جميلة معاشي الأسر المحلية الحاكمة في بليليك الشرق-في توزيعات الأراضي الفلاحية والاقطاعات المحلية وأنواع التجارة.

– أندري برنيان وآخرون الجزائر بين الماضي والحاضر حيث أفادنا في معرفة الحياة الاقتصادية (الصناعة).

– الدراسات السابقة:

توفرت الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع التي أخذنا البعض منها؛ والتي كانت داعمة فنذكر منها:

–سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة، أطروحة لنيل شهادة الماجستير بحيث تحدثت السيدة سعودي في الموضوع عن الأحوال الثقافية والاجتماعية.

– أزرقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه حيث أفادتنا في الحياة الاجتماعية (الأوبئة والأمراض).

–راوية الجريدي، الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة،أطروحة لنيل شهادة الماجستير بحيث أفادتنا في معرفة الجانب الاقتصادي (الزراعة)والثقافة في قسنطينة.

– رياض بو لحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها المؤلف مجهول، أطروحة لنيل شحادة الماجستير،حيث أفادتنا في الجانب الاقتصادي و أهم المنتوجات الفلاحية.

– الصعوبات المعترضة:

من الصعوبات المعترضة في دراستنا؛ ما يلي:

– كثرة المادة العلمية وصعوبة حصرها في عدد محدود.

–ضيق الوقت وصعوبة التنقل للحصول على المراجع.

– طول الفترة المدروسة.

الفصل الأول: التعريف بمدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة قسنطينة.

المبحث الثاني: التعريف بمدينة قسنطينة تاريخيا (النشأة، أصل التسمية، أهم المحطات التاريخية).

المبحث الثالث:التعريف بالعنتري وأهم مؤلفاته.

مدينة قسنطينة المدينة الأزلية التي حدبت الكثير من الباحثين المؤرخين واستلهمت الشعراء والأدبين، وهدا راجع إلى ما تحظى به من موقع استراتيجي مميز، وارث حضاري عتيق مكنها من أخذ الريادة بالنسبة للناحية الشرقية مند أقدم العصور إلى يومنا هذا.

المبحث الأول: الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة قسنطينة:

تقع المدينة فلكيا على خط طول عرض 23 و36 شمالا، وعلى خط طول 35 و7 شرقا[1]، وهي بهذا تتوسط إقليم شرق الجزائر الذي يعتبر من أكبر الأقاليم الاقتصادية الرئيسية للدولة ويشمل الشرق القسنطيني الرقعة الجغرافية التي كانت تمثل بأيليك الشرق أو بأيليك قسنطينة، والتي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة وواد سوف في حوض ريغ وايغرغر جنوبا، ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج حمزة البويرة غربا [2].

وتحتل قسنطينة موقعا متميزا فهي تتموضع فوق صخور وعرة تحيط بثلاث أرباعها وفي سفح هذه الصخور يسيل نهر يطلق عليه اسم الوادي الكبير [3]؛ وفي هدا الصدد يقول مارمول كربخال في كتابه إفريقيا واصفا قسنطينة "مدينة عتيقة جدا كبيرة ذات موقع ممتاز فوق حبل عال تجاورها من جهة الجنوب صخرة شديدة الانحدار ينبع منها نهرا" [4].

تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 437 كلم من الجهة الغربية، وتبعد بمسافة 245 كلم من الحدود الشرقية الجزائرية، وتبعد عن بسكرة في الصحراء جنوبا بمسافة 250 [5].

فهي بطبيعة هدا الموقع المتوسط من تونس من ناحية ومن مناطق شرق الجزائر من ناحية أخرى أهلها لأن تكون المدينة ذات الموقع الاستراتيجي الهام خاصة في عملية الاتصال بين مختلف المدن سواء داخل الوطن آو خارجه، وأهلها كذلك لأن تكون مدينة تجارية تتميز بشبكة كثيفة من الطرق والموصلات البرية والحديدية والجوية؛ وأصبحت تشكل العقدة الرئيسية لاتجاهات النقل التي تستقبلها المنطقة الشرقية الجزائرية وهي بهذا تعتبر بحق بوابة الشرق الجزائري والمنفذ الرئيسي للصحراء.

---

(1) محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، 1984، ص 14.

(2) محمد بن الصالح العنتري، تاريخ قسنطينة، تح: يحي بوعزيز ، عالم المعرفة لنشر والتوزيع ، 1977، ص 14.

(3) فنلدين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832- 1837، تر: أبو العبد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص17.

(4) لمارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج 3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ص11.

(5) محمد الهادي لعروق، نفسه، ص16.

أما عن مناخ مدينة قسنطينة فانه بحكم موقعها في منطقة الهضاب العليا فإنه تتميز بمناخ المناطق الداخلية في الجزائر حيث أنها تنالها نسبة لا بأس بها من الرطوبة في الشتاء لارتفاعها وقربه من جهة البحر الشمالية، كما أن المؤثرات الصحراوية بصيفها الحار وشتائها البارد تؤدي إلى عدم انتظام الدورة المناخية بالمدينة وتتسبب في ظهور الجفاف صيفا [1].

المبحث الثاني: التعريف بمدينة قسنطينة تاريخيا:

أولا– النشأة وأصل التسمية:

1- النشأة:

إن مدينة قسنطينة من بين المدن القديمة الضاربة جذورها في التاريخ بشمال إفريقيا؛ ولكن لا نجد دليلا يمكن اعتماده لمعرفة تاريخ نشأة هذه الحاضرة العريقة في القدم رغم أن معظم المؤرخين اتفقوا على أنها كانت موجودة مند القرن العاشر قبل الميلاد [2].

فقد ذكر المؤرخ القسنطيني أحمد النبيري في كتابه علاج السفينة في بحر قسنطينة أن بني كنعان النازيحين من فلسطين حوالي 1300 ق.م، امتزجوا بالنوميدين وأسسوا مدينة قسنطينة. ويشير المؤرخ ابن العطار على أنها مدينة قديمة بناها الذي بني مدينة قرطجنة بنيت في زمن عاد قبل إبراهيم الخليل عليه السلام، وهي عامرة لم تطفأ لها نار ولا دخلها عدوا قهرا[3].

ولقد جاء في بعض المصادر على أنها "مدينة قديمة تعود إلى الفترة الرومانية"، وهذا ما أكده حسن الوزان في تعريفه لمدينة قسنطينة إلى أنها مدينة قديمة بناها الرومان، وهذا الشيء لا يمكن إنكاره نظرا لأساورها العالية المبنية بالحجر المنحوت المسود [4].

وهذا كذلك ما أشار إليه مارمول كربخال في كتابه إفريقيا قائلا هي مدينة عتيقة جدا وهي من بناء الرومان كما تشهد على ذلك جدرانها المبنية بحجارة منحوتة سميكة [5].

---

[1] محمد بن صالح العنتري، المصدر السابق، ص17.

[2] سفيان بوذراع، سيرتا من خلال النقشيات اللاتينية المحفوظة، جامعة قسنطينة، ص 107.

[3] الحاج أحمد بن أمبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة 1790 – 1870، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.

[4] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ص55.

[5] مارمول كربخال، المصدر السابق، ص11.

ب- أصل التسمية:

عرفت مدينة قسنطينة عدة تسميات عبر تاريخها الطويل من قبل الباحثين والمؤرخين وكذلك على السنة كبار الشيوخ، ومن هده التسميات سيرتا، قرطة، بلد الهواء الحصن الإفريقي وقسنطينة إلى غير ذلك من الأسماء وسنحاول الوقوف بشي من التفصيل عند كل اسم من هذه الأسماء.

من بين أقدم الأسماء التي عرفت به المدينة اسم سيرتا الذي يقال انه اسم سامي الأصل وأنه تحريف للاسم الحقيقي الذي هو كرتن فقد عثر بواسطة الحفريات على قطعة برنزية كتب عليها الأحرف الأربعة التالية (ك،ر،ت،ن) أي كرتن ومعنى هذا الاسم المدينة أو القلعة [1].

وتعود تسمية سيرتا بدورها إلى بداية الاحتلال الروماني لنوميديا الذي يؤرخ له بسنة 64 ق.م. وذلك عندما أصبحت سيرتا عاصمة للاتحاد السيرتي الذي أنشأه المغامر سيتيوس ومنه جاء اسم مستعمرة سيتيوس [2].

وسميت كذلك باسم قرطة الذي أطلقها عليها البونيون بعد تحريفهم لاسمها اللوبي القديم [3]. كما عرفت باسم أخر وهو بلد الهواء والهوى ويقصد بها الرياح التي تخفق فيها وتعصف عليها منكل جانب لارتفاعها، ونجد الرحالة الإدريسي هو أول رحالة أطلق عليها تسمية بلد الهواء.

وسميت كذلك بالحصن الإفريقي نظرا لأسوارها المنيعة وقلاعها الحصينة؛ أما عن التسمية الحالية التي تعرف بها المدينة، ألا وهي قسنطينة بضم أوله؛ وفتح ثانيه ثم نون وكسر الطاء وياء مثناه من تحت، ونون أخرى بعدها ياء خفيفة وهاء، فإنها تعود إلى بداية القرن 4 م أين تخلت عن الاسم القديم سيرتا وحملت اسم قسنطينة التي احتفظت به إلى يومنا هذا، ويعود اسم قسنطينة لإمبراطور قسطنطين الذي أعاد بنائها وتشيدها وأعطاها هذا الاسم سنة 313م، وذلك بعد أن هدمها الصراع بين الإمبراطور ماكسانس ودومتيرس الكسندر[4].

---

[1] محمد الصغير غانم، قسنطينة عبر تاريخها القديم، جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر، 1999، ص 139.

[2] نفسه، ص139.

[3] الحاج أحمد بن أمبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 15.

[4] سفيان بودارع، المرجع السابق، ص، 116.

ويرى الدكتور محمد صغير غانم أن استمرار تسمية قسنطينة بهذا الاسم لا يتلاءم وإعادة النظر في كتابة تاريخنا وتنقيته من الشوائب التي علقت بع على مر الزمن، فإن من الأفضل تسمية المدينة باسم نوميديا على أساس أنها كانت عاصمة لأول دولة جزائرية مند القدم، كما أنه يقترح تسميتها باسم أحد شهداء وأبطال الثورة المظفرة وهذا في إطار المحافظة على تاريخنا والعمل به [1].

2- أهمالمحطاتفيتاريخقسنطينة:

عرفت مدينة قسنطينة خلال تاريخيها الطويل عدة حضارات إنسانية ومدنيات بشرية، أخذت أحسن ما فيها واحتفظت بثرتها فكانت سر خلودها، وسبب عظمتها في أعين الأمم الغابرة .

ثانيا- قسنطينة في الفترة الرومانية:

يعتبر القضاء على قرطاجة سنة 146 ق.م؛ من أهم أبرز مظاهر السياسة التوسعية التي انتهجها الرومان إزاء شعوب البحر الأبيض المتوسط [2]، وقد اتصفت الحركة التوسعية الرومانية في مراحلها الأولى بالبط والتدرج فلم تكن تطمع الجمهورية الرومانية آنذاك في بسط نفوذها على الشمال الإفريقي، لعلمه وتخوفها بشجاعة البربر وحماسهم في الدفاع عن وطنهم.

وبعد معركة تابسوس في 6 فيفري 46 ق.م؛ استولى الرومان على شرقي نوميديا وأطلقوا عليها اسم أفريقا الجديدة؛ ومنحت نوميديا الوسطى قرطة والمدن التابعة لها لستيوس، وأطلق عليها اسم مستعمرة ستيوس؛ فقد شهدت مدينة قسنطينة صورا من الصراع الذي كان بين قرطاج وروما وتأثرت به تأثيرا كبيرا، إن الرومان ومنذ فترة طويلة كانوا ينظرون إلى احتلال المدينة والاستئثار بها فقاموا باحتلالها سنة 112، ومنذ ذالك الحين أصبحت مستعمرة رومانية وعاصمة كنفيدرالية المستعمرات الأربع والتي تجمع تحت لوائها مستعمرة ميلف (ميلة) وشولة (القل) وروزيكاد (سكيكدة) ومستعمرة (قسنطينة) سيرتا، وكان لكل مستعمرة حكمها الخاص بها، بينما تولت سيرتا أمور الدفاع وتعين القضاة [3].

---

[1] غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص 140.

[2] محمد البشيرشنيني، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 45.

[3] محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص، 69.

إلا أن المدينة لم تنعم بالاستقرار في بداية سيطرة الرومان عليها، حيث أن أهل المدينة والقبائل النوميدية المجاورة، قد رفضوا هذا الاحتلال الأجنبي وقاموا بالعديد من الثورات، بالإضافة إلى تصارع أهل السلطة فيما بينهم داخل الكونفدرالية [1].

فالصراع الذي كان قائم بين قسطنطين وماكسنس أدى إلى إحداث اضطرابات بلغت منتهاها في الإمبراطورية، وقامت بذلك ثورات داخلية ضد الأباطرة، وقتل الإمبراطور ماكسنس الإمبراطور دوميتيوس الكسندر حاكم إفريقيا وبقتله حطمت وخربت مدينة سيرتا، التي كانت تابعة لحزب دوميتيوس الكسندر سنتة 311 [2].

ثم عادت قسنطينة إلى مسرح التاريخ على يد الإمبراطور المنتصر قسطنطين الذي جددها وأعاد بنائها وبذلك أخذت قسنطينة اسم المنتصر اعترفا له بالجميل سنة 313 م [3].

وبعد أن استتب الأمن والاستقرار في المنطقة ، اهتم قسطنطين بتعمير المدينة وتنشيط الزراعة والتجارة الأمر الذي إلى ارتفاع عدد سكانها وانتشر عمرنها وامتد إلى خارج المدينة.

وفي سنة 337 توفى قسطنطين وبقيت مدينة قسنطينة ترزح تحت وطأة الاستعمار الروماني، واستمر أهاليها في المقاومة إلى سنة 427م حيث تمكنوا من حمل حاكمها بونفياص على المطالبة بالاستقلال عن روما، فاستنجدوا بالوندال أعداء الرومان فاستجابوا لمطالبهم ودخلوا المدينة؛ واستقروا بها.

ثالثا– قسنطينة في العهد العثماني:

تعددت روايات المؤرخين في تاريخ دخول قسنطينة تحت الحكم العثماني ، فالعنتري مثلا جعله عام 1050هـ – 1640م [4]؛ فقد جاء في كتابه، أن الترك لما تملكوا بالجزائر وتوغلوا فيها وذلك بعد مدة طويلة من الحروب والفتن، وبعد تملكهم بها، تراهم قدموا إلى قسنطينة لأجل أن يستولوا عليها وكانت في ذلك الوقت تحت حكم صاحب تونس، وحين وصلوا أرادوا دخولها تفاجئوا وهم يحاولون اجتياح حصانتها بمقاومة شعبية في منتهى الشراسة مما أجبرتهم على التراجع والاكتفاء بضرب الحصار، فوقع خلاف بين أهل البلد فبعضهم يقولون نسلمها؛ والبعض الأخر يعترض، فلما كثر الكلام بينهم وتفاقم الأمر قابلهم الشيخ بن الفكون وأشار عليهم قائلا أن هؤلاء الترك قدموا من حضرة سلطان

---

[1] محمد الهادي لعروق: المرجع السابق، ص 69 – 70.

[2] سفيان بوذراع، المرجع السابق، ص 116.

[3] محمد الهادي لعروق، نفسه، ص70.

[4] محمد صالح العنتري، المصدر السابق ص70.

العثماني، وأنه لا يليق بهم مقاتلتهم، فعندئذ سمح لهم النصف المعارض، واتفقوا كل الناس وفتحوا أبواب البلاد ودخلوا الترك في قسنطينة [1].

أما الأنبيري فانه يحدده سنة 927 هـ- 1529 م، أي في عهد خير الدين باشا، وابن الدينار مؤرخ الدولة الحفصية فإنه يجعله مطابقا لانتهاء الحكم الحفصي بتونس أي في حدود 933 هـ _ 1536م[2].

وأمام هذه الاختلافات والتباين في تحديد تاريخ إخضاع المدينة تحت النفوذ العثماني نجد أن الكاتب الاسباني مارمول يحدد تاريخ دخول الأتراك العثمانيين إلى قسنطينة سنة 940هـ-1534م؛ وذلك بعد وفاة آخر القادة الحفصين حسين بن علي بن فرح [3].

أما المؤرخ عبد الرحمان جيلالي فيرى أن الأتراك تمكنوا من فتح قسنطينة اثر واقعة وادي القطن بين ميلو وقسنطينة، حيث احتلها أتراك بونة وتونس سنة 962 هـ – 1535 م[4].

أما ففايسيت جعله عام 1517 م، وميرسي جعله بين عام 1519 م و1522 م، ودافيتي جعله عام 1522 م، ونحن نرجح أنه سنة 1514 م السنة الذي تمكن فيها عروج وخير الدين من إفتكاك مدينة جيجل من الجنوبيين؛ والاستقرار بها قبل انتقالهما إلى مدينة الجزائر[5].

وأمام مختلف هذه النصوص و الآراء السابقة الذكر، يمكننا الوصول إلى نتيجة واحدة هي أن دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة لم يكن مرتبطا بتاريخ معين، بل كان على مراحل وبعد محاولات عديدة[6].

---

[1] محمد الهادي لعروق:المرجع السابق ،ص 45.

[2] الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 48.

[3] جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بأيلك الشرق الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، 2015.

[4] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 1، منشورات دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، ص 88.

[5] محمد الصالح العنتري، المصدر السابق، ص 6.

[6] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 110.

ويرجع ذلك إلى حدة الخلاف السياسي الذي كان موجودا بين صفوف أهل المدينة، وانقسامهم بين مؤيد ومعارض للتواجد العثماني على أرض الوطن، وقد دام الحال لمدة سبعة أعوام ظلت فيه هذه المدينة مترددة على هذا الحكم، تدير شؤونها بعض العائلات الكبيرة وتأثير مشايخها، إلا أن أجمعوا أمرهم بعد التشاور والفتوى على مكاتبة الباشا (الداي) فإن يولي أمرهم رجلا عادلا يجمع شمل شتاتهم، فاستجاب الباشا لهم وترك أمرهم شورى بينهم، وكان إجماعهم على أول رجل يفتح سجل تاريخ بآيات قسنطينة وهو حسن بن فرحات بن مراد وذلك عام 1646م[1].

رابعا– قسنطينة في العهد الفرنسي:

بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر العاصمة في 5 /1830/7، توجهت أنظارهم مباشرة إلى الشرق الجزائري لاحتلال عاصمته مدينة قسنطينة، فقد صرح الحاكم العام الفرنسي دو روفيكو أنه بدون السيطرة على مدينة قسنطينة، ومنطقة الشرق لا يمكن لفرنسا البقاء بالجزائر[2].

وحتى يتحقق لهم ذلك كان عليهم السيطرة على مدينة عنابة حيث كانت تشكل المنفذ البحري الرئيسي للبايليك الشرق الجزائري، وعلى أثر استيلاء الفرنسيين عليها عام 1832.

تخوف الحاج أحمد باي وأدرك النوايا العدوانية للمحتل فجعل أحمد باي جواسيس وحراس في مدينة عنابة ينقلون له الأخبار وما يدور فيها من استعدادات الجيش الفرنسي، فتمكن من خلال احد الرجال معرفة وقت خروج الجيش الفرنسي لمداهمة وحصار قسنطينة[3].

عندها أدرك الحاج أحمد باي ما يبثه له العدو ، فاستعد للدفاع عنها فجهز السلاح والرجال وزرع المدافع على أسورها فكون حامية عسكرية في الداخل تتكون من 1400 جندي يقوده ابن عيسى، وأقام معسكر خارج المدينة يقوده هو يتكون من 1500 من المشاة 5000 من الفرسان، انطلقت الحملة الأولى من مدينة عنابة في شهر نوفمبر 1836 بقيادة المارشيل كلوزيل، كانت هذه الحملة في نظرا الماريشال سهلة بسيطة تشير بعض المصادر الفرنسية أن الماريشال لم يضع خطة عسكرية واضحة لهذه الحملة مستصغر مقاومة ودفاع احمد باي، ولعل ذلك تبريرا لهزيمة الساحقة التي لقيها الماريشال

---

[1] الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 51- 52.

[2] حميدة عميراوي، جوانب من السياسة الفرنسية ورود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، 1984، ص40.

[3] عبد العزيز فيلالي، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830- 1850، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، ص 74.

وقواته أين ابتلع فيها الجيش الفرنسي إهانته ومني بكارثة عسكرية خطيرة، انتهت هذه الحملة بعزل ماريشال كلوزيل، واتهامه بقلة التجهيز للحملة وتعويضه بالمريشال دامريمون[1].

يبدو أن الماريشال دامريمون قد عمل كل ما بوسعه من أجل إنجاح الحملة الثانية، فقد استدعى النقيب فولتر الذي كان مقيما بتونس وكلفه بمهمة سرية استعلامية حول الوضع العام بقسنطينة، وبهذا فإن إدارة الاحتلال قد عملت على توفير شروط نجاح الحملة الثانية.

وفي 5 أكتوبر 1837 خرجت الحملة الثانية من عنابة، وبلغت سطح المنصورة وفي هذا الصدد يقول العنتري انه في هذا الوقت خرجت عمارة الفرنسيين من عنابة وهي حملة كبيرة بقيادة الماريشال داريمون، وتقدموا إلى قسنطينة، وتقابلوا مع قوات الحاج احمد باي في ناحية عقبة العشاري وبدأ القتال بينهم حتى تقدموا على قسنطينة، وقابلوها من ناحية سطح المنصورة ومن ناحية الكدية فنشأ الطراد وتمادى القتال بين الطرفين وكان ذلك في ثمانية أيام، وفي اليوم السادس مات الماريشال دامريمون، وبعد موته قدم مريشال أخر اسمه كونت فاله[2].

فتولى القيادة بعده الجنرال فالي في 13 أكتوبر وتمكن من احتلال المدينة بعد قتال عنيف مع قوات الحاج احمد باي، وخرج عنها احمد باي إلى الصحراء وحارب فرنسا 11 سنة إلى أن أسر ومات سجينا بالجزائر ودخلت قسنطينة أثر ذلك تحت الاحتلال الفرنسي، وحكمت حكما عسكريا من سنة 1837 إلى سنة 1848 ثم تحول إلى حكم مدني[3].

المبحث الثالث: محمد صالح العنتري، نشأته، أهم مؤلفاته:

أولا– التعريف بالكاتب:

هو صالح بن محمد بن العنتريكان يعمل في منصب خوجة لدى الحاج أحمد باي، والذي أمر بقتله عام 1837م أثناء زحف القوات الفرنسية على مدينة قسنطينة خلال الحملة الثانية، وذلك بوشاية وتحريض من الباشا حامبهعلى بن عيسى، ولم يتحدث أحد عن تاريخ ميلاده، ولا عن تاريخ وفاته، ويبدو أن مولده كان بين عامي 1790 و1800م وتوفى بعد عام 1870م لأنه في هذا العام

---

[1] العياشي روابحي، الاحتلال الفرنسي لقسنطينة 1837 وردود فعل أعيان، جامعة باجي مختار، ص 367.

[2] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 106-110.

[3] الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 83.

أنجز كتابه الثاني سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة وذلك بطلب من الضابط أدليررئيس المكتب العربي بالمدينة.[1]

تلقى "صالح العنتري" تعليمه بقسنطينة على يد شيوخ أجلاء أشهرهم أحمد العباسي، وعلي التونسي، وعمار المغربي، ومحمد عبد الرحمن باش تارزي، وأظهر منذ صغره ولعه بالأخبار والتواريخ وميله إلى العمل الإداري، فالتحق بالوظيفة مبكراً ، وتولى كتابة تحرير الكتابات باسم الضابط الفرنسي بواسوني، وأثناء ذلك اكتسب إطلاعا على الثقافة الفرنسية، واشتغل مدة بالتدريس ثم تولى القضاء بقسنطينة، وعد من مجموعة علماء قسنطينة وأعيانها الذين شاركوا في رحلة إلى باريس سنة 1844م واطلعوا على المظاهر العمرانية، كان رفقة كل من محمد بن القاضي، محمد الشاذلي، أحمد بن المبارك، بلقاسم بن محمد بن عيسى، محمد بن المسبح، أبو منصور عمار بن شريط، عمار المغربي ومصطفى شاوش[2].

تميز صالح العنتري فيما كتبه عن تاريخ قسنطينة أو ما سجله من أزمات اقتصادية بالشرق الجزائري، بوفرة معلوماته، وتنوعها مقارنة مع الشيخ أحمد المبارك وكذلك بدقة ملاحظاته ونظرته المحايدة، فضلا عن احترامه سياق العرض التاريخي للأحداث مع تجنبه للاستطراد إلا فيما يراه ضروريا كضرب الأمثال الشعبية وإثبات أقوال الأولياء.

ولعل ما يؤخذ على العنتري هو إعجابه بالحكم الفرنسي والميل له وتفضيله على الحكم العثماني أثناء المقارنة بينهما، والسبب في ذلك هو موقعه من الأحداث وتأثره بالتطورات التي شهدتها مدينة قسنطينة أثناء وبعد حكم الحاج أحمد باي.

اشتهر صالح العنتري بالعمل في المكاتب العربية منذ تأسيسها في مدينة قسنطينة عقب احتلال المدينة سنة 1837م وقد شغل منصب كاتباً فيها مدة،وقد واقترن اسمه باسم أحدهم وهو الكابتان بواسوني الذي ألف له تاريخ قسنطينة وطبعه بمعونته سنة 1852م[3].

---

[1] صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص04.

[2] سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص99.

[3] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، دخائر المغرب الإسلامي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1974، ص7.

ثانيا– التعريف بمؤلفاته:

اشتهر صالح العنتري بكتابين ألفهما أثناء قيامه بوظيفته في بيرو عرب، المكاتب العربية بقسنطينة أولهما هو الأخبار المبينة المذكورة في تاريخ قسنطينة سنة 1844م، والذي طبعه بإعانة الكابتان بواسوني1852م [1].

وقد عرّف هذا الكتاب بعناوين مختلفة منها كتاب الأخبار المبنية في تاريخ قسنطينة ، وفريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، ويعتبر تاريخ بايات قسنطينة للعنتري من أوائل الكتب التاريخية التي عالجت تاريخ قسنطينة بالتفصيل، اعتمادً على الروايات والمشاهدات والاستناد إلى وثائق العائلات العريقة بالمدينة، والوثائق الرسمية التي وضعها المكتب العربي تحت تصرفه، وهذا ما جعله ينفرد بإيراد أخبار لم يذكرها غيره في تاريخ قسنطينة من معاصريه مثل أحمد المبارك، النميري، غير أنه يلاحظ على العنتري تهجمه على الحاج أحمد باي[2].

ذلك لأنه ظل يحمل هذا الباي مسؤولية قتل والده عام 1837م، ولعل هذا ما جعل العنتري يميل إلى الفرنسيين ويبدي إعجابه بانجازاتهم مدفوعا بتأثير الضابط الفرنسي بواسوني عليه ومحاولته إقناعه بذلك، وقد أدى به نفوره من أحمد باي إلى إثارة حفيظته على الحكام العثمانيين، لاسيما المتأخرين منهم ووصفهم بالضعف والظلم والاستبداد، وهذا ما عبر عنه في فريدة مؤنسة بقوله:" إن الأتراك في بدء أمرهم حين لم يتمكنوا من الوطن كل التمكن عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحدا، وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس ويسفكون دماءهم ويأخذون أموالهم بغير حق، ويعدون ولا يوفون، ويؤمنون ويغدرون، كما يعلم مما تقدم، ولم يزل ظلمهم يزداد حتى تجاوز الحد في ولاية الحاج أحمد بن محمد الشريف الذي أخذت قسنطينة في زمان ولايته.

ثم طبع ونشر كتاب تاريخ بايات قسنطينة لأول مرة في قسنطينة بمطبعة فان سنة 1846م، ثم قام السيد دورنونDournonبعد سنوات من ذلك بترجمته إلى الفرنسية ونشره في مجلة مجموعة ملاحظات ومذكرات الجمعية الأثرية القسنطينية عام 1929م؛ أما عن ثاني الكتابين فهوسنين القحط والمسغبة ببلدة قسنطينة، الذي توجد نسخة منه في شكل مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية[3].

---

[1] سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة، المرجع السابق، ص100.

[2] نفسه، ص100.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسة وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2009، ص108.

وكان قد ألفه باقتراح من الضابط الفرنسي دولير سنة 1870م الذي تولى أمور المكتب العربي بقسنطينة في تلك الفترة، وقد أراد أن يطلع على أحداث المجاعات التي مرت بها قسنطينة ونواحيها فألف له العنتري هذا الكتاب، وقد تعرض فيه للأوضاع الاقتصادية، وما تميزت به من أزمات أواخر العهد العثماني وأوائل فترة الاحتلال، وقد اهتم فيه صالح العنتري خاصة بإبراز الظروف التي تسببت في حدوث القحط والغلاء، وبذلك كان موضوع الكتاب موضوعا طريفا وغريبا بالنسبة للموضوعات التي كان يطرقها كتاب عصره[1].

لقد عالج صالح العنتري هذه الأحداث الاقتصادية بروح علمية جعلته يبحث عن الأسباب القريبة التي تفسر الظاهرة الاقتصادية تفسيرا مقنعا، متلمسا العلل عارضا الأحكام والظواهر الاقتصادية بين العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي معتمدا في ذلك على المعلومات التاريخية التي استقاها من شيوخ مسنين ورواة ثقاة عاشوا تلك الفترة وتأثروا بأحداثها، وقد كان العنتري مدركا لطرافة موضوع كتابه وفائدته، حيث قال عنه في آخره: " إن في هذا الكتاب أمورا يستحسنها أهل الرأي والتدبير، الساعين في جلب المصالح للجليل والحقير.وقد قام بتحقيق كتاب أو مخطوط صالح العنتري الأستاذ المحترم رابح بونار اعتمادا على نسخة من المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم2330[2]؛ ونشره تحت عنوان مجاعات قسنطينة مع مقدمة إضافية وذلك بالجزائر سنة 1974م كما أن للعنتري تقويما مقارنا للتاريخ الهجري والميلادي سماه "هدية الإخوان في موافقة التاريخين، وتوقيعات الزمان، وفوائد متفرقة لها شأن"أدرج فيه فقرات من الإنجيل، وبعض آراء الجزائريين في الحضارة الغربية، ودروسا في اللغة الفرنسية، وذلك بهدف اطلاعهم على الثقافة الفرنسية وتقريبهم من إدارتها[3].

1- أسلوبه ومحتوى مؤلفاته:

كتب العنتري كتابه تاريخ قسنطينة من تأليف الشيخ محمد بن صعد الأنصاري التلمساني، ومراجعة وتحقيق الدكتور يحي بوعزيز، بأسلوب بسيط؛ ولغة متواضعة يفهمها الجميع ولكنه أكثر من الأخطاء اللغوية وقواعد الرسم والنحو، إذ يرفع المفعول ويجره، وينصب الفاعل، ويجمع بين الاسم الظاهر والضمير، في الفاعل؛ على لغة (أكلوه البراغيث) ويأتي بالضاء المشالة وغيرها.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني:نفسه، ص 101.

[2]، نفسه، ص 101.

[3]صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 12.

أما محتوى الكتاب فهو عبارة عن سرد مختصر لتاريخ بايات قسنطينة بأسلوب الحوليات، استعرض فيه الأحداث السياسية والعسكرية والتنظيمات الإدارية لبعض البايات واهتم بصورة خاصة بالحروب التي نشبت بين البايليك وإيالة تونس[1]؛ خلال القرنين 17 و18م.

لقد استهل العنتري التأريخ لبايلك قسنطينة بعام 1641-1640م الذي اعتبره التاريخ الحقيقي لدخول الأتراك إلى مدينة قسنطينة حيث أرخ لأول باي وهو الباي فرحات ابتداء من عام 1642-1643م كما أن الفترة الممتدة ما بين 1514 -1567م التي تعتبر الفترة التي لم يعرف حكامها ولا ولاتها من الأتراك والتي أهملت من تاريخ البايليك بصفة رسمية من عام 1565 من طرف البالر باي حسن باشا بن خير الدين؛ وحكمه البايات الخمسة: رمضان تشولاق باي[2]؛ (1574-1567) جعفر باي[3] (1588-1574) ومحمد بن فرحات باي (1608-1588) وحسن باي[4](1608-1622) ومراد باي[5](1622-1647) ومن غير الشك أن عدم معرفة العنتري لأحداثها هو الذي دفعه لإهمالها[6].

ولقد عرض العنتري في صفحات كتابه الكثير من البايات يذكر سنة توليهم ،وسنة نهاية حكمهم بدون أية تفاصيل، ولكنه توسع بصورة خاصة في الحديث عن الحاج أحمد باي آخر البايات، وتوسع أكثر في ذكر تفاصيل الاحتلال وأحداث الفرنسيين خلال تلك الفترة، وقد استغرق من ذلك ثلثي الكتاب، كما أورد العنتري في آخر كتابه نص الاتفاق الذي أبرم بين الحاج أحمد باي، وأعيان مدينة قسنطينة عام 1830م بعد عودته من الجزائر العاصمة، وقصيدة شعرية في مدح قسنطينة وأخرى من الشعر الملحون في وصف الحرب التي اندلعت بين البايليك وتونس.

ويعتبر كتاب العنتري وثيقة مهمة وأساسية بالنسبة لتاريخ قسنطينة وباياتها، وبايليكها وبالنسبة لبعض الأحداث العامة التي تتصل بالجزائر، وعلاقتها بتونس[7].

---

[1] صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، المصدر السابق، ص 102.

[2] رمضان تشولاق باي: عينه محمد صالح رايس في هدا المنصب وذلك في ظروف صعبة ومشاكل معقدة في الإقليم.

[3] جعفر باي: سلك سياسة حكيمة فوثق صلاته بالعائلات الكبيرة ذاتالنفوذ في المدينة والبايليك.

[4] حسن باي: في عهده تم إبرام معاهدة ضبط الحدود مع نيابة تونس عام 1614م.

[5] مراد باي: اهتم بحفظ الأمن والنظام في البايلك كما اهتم بأمن الرعايا الفرنسيين في مراكز صيد المرجان.

[6] صالح العنتري، تاريخ قسنطينة،نفسه، ص 102.

[7] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدرالسابق، ص06.

إن كتاب مجاعات قسنطينة قد امتاز بأسلوبه العلمي المتوسط حيث ذكر فيه العنتري سنوات القحط والمسغبة التي تركت أهل قسنطينة وعمالاتها من ذوي المتربة والفاقة حيث عمل العنتري على تبيين تدهور الحالة الاقتصادية لسكان قسنطينة في أواخر العصر التركي وفي عهد الاحتلال الفرنسي بالقرن التاسع عشر الميلادي على أنه لم يغفل عن الإشادة بسلطات الاحتلال التي حاولت التلطيف من هذه النكبات الاقتصادية، كما تناول الكتاب الأزمات الحادة من الأحداث الخمسة والتي وقع اثنان منها في العصر التركي ووقعت الثلاثة الباقية منها في العهد الفرنسي[1].

كما ذكر العنتري أنه ألّف هذا الكتاب وهو في حالة اضطراب لم تكن تسمح له بالإجادة التامة التي كان يريدها ورغم ذلك فإنه استطاع أن يسجل هذه الأحداث الاقتصادية والاجتماعية ضمن كتابه تسجيلا أمينا وأن حللها تحليلا علميا، وقد انحصر تاريخ هذه الأحداث في الفترة التي تمتد مابين 1804-1870م.

ولقد اعتمد في تأليف كتابه على المعلومات التي تذكرها بنفسه وعلى المعلومات التي استقاها عن الشيوخ المسنين الذين عايشوا الأحداث بكل جزئياتها[2].

يعتبر كتاب مجاعات قسنطينة من أهم مؤلفات القرن التاسع عشر الميلادي والذي جاء في فترة تميزت بنوع من الانحطاط الفكري بصورة عامة في الجزائر وهذا إذا ما استثنينا ما أنتجه الأمير عبد القادر الجزائري، ما أنتجه عبد الرحمان الديسي أو محمد الشادلي القسنطيني، وقد استطاع العنتري على تواضعه وخموله أن يكتب في موضوع المباحث الاقتصادية التي كانت غريبة على علماء عصره، وأن يسجل فيها بعض الملاحظات الموفقة حول القيمة والأسعار وأن يشرح جشع التجار والمضاربين من اليهود وغيرهم، وأن يحلل الأزمات الاقتصادية الحادة التي كانت تنشأ بسبب القحط والآفات العارضة تحليلا دقيقا.

وقد استطاع أيضا أن يحلل ظاهرة القوة الشرائية الحقيقية للنقود والقوة الاسمية لها بإيجاز كما أشار أيضا إلى ظاهرة التضخم التي يدرسها ويحللها الاقتصاديون كما لفت انتباه معاصريه إلى مشكلة عدم استقرار الأسعار التي كان ينتج عنها اضطراب كبير في الحياة الاقتصادية.

ولقد أدرك العنتري الفترة الأخيرة للعهد التركي وعاش ما يزيد على ثلاثين سنة في عهد الاحتلال الفرنسي في القرن 19م.

---

[1] صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، المصدر السابق، ص06.

[2] نفسه، ص11.

وقد عاصره في هذه الفترة طائفة من العلماء والأدباء بقسنطينة ترجم لهم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف وأشار العنتري نفسه إلى بعضهم في كتابه الأخبار المبنية، ومن هؤلاء العلماء والأدباء نذكر الآتي:

- العالم محمد بن القاضي وكان شاعرا أديبا كما يقول العنتري وقد مدح الدرك دومال بقوله:

بشرى لنا بقدوم هذا الوالي وبكل ذي فضل من المعالي

- الشيخ محمد الشادلي الشهير، وكان شاعرا أديبا ومن قوله بمدح الدوك دومال:

قدوم جميل لايفارقه السعد ويصاحبه التعظيم والعز والرشد

- أحمد بن المبارك المؤرخ وقد اشتهر بتاريخه لقسنطينة مثل صالح العنتري نفسه، وكان صديقا له ،وقد توفى سنة 1870م[1].

- محمد بن المسبح القسنطيني المتوفى سنة 1242 هـ وكان عالما أديبا.

هؤلاء المعاصرون لصالح العنتري كانوا يمارسون تدريس الفقه وعلوم اللغة والأدب ولم يكونوا متفرغين للكتابة مثله كما لم يكونوا محتكين بكثير من المشاكل الاجتماعية والسياسة التي احتك بها صالح العنتري من المكتب العربي الذي كان يسيرها، ويشرف عليها.

ولعل هذه الميزة التي اختص بها العنتري هي التي رقعته إلى معالجة مشاكل اقتصادية واجتماعية بكثير من الدقة والعمق؛ يعجز عنها كثيرون أمثال الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني؛ وأحمد بن مبارك وغيرهما[2].

خلاصة الفصل:

ونخلص إلى أن مدينة قسنطينة حظيت بموقع استراتيجي هام، مكنها من أخذ الريادة على مستوى الشرق الجزائر فهي تتوسط إقليم شرق الجزائر، الذي يعد هذا الآخر من أحد الأقاليم الاقتصادية والسكانية الرئيسة في الدولة؛ كما عرفت مدينة قسنطينة العديد من التسميات عبر تاريخيها الطويل، وكان لكل تسمية من تلك الأسماء خلفية تاريخية، كما توافد عليها العديد من الحضارات

[1] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة،المصدر السابق، ص 08.

[2] نفسه، ص 08.

الإنسانية، التي تركت بصمتها وأخذت أحسن ما فيها من تراثها الحضاري والعمراني والثقافي؛ وقسنطينة من بين المدن الجزائرية التي دخلت تحت الحكم العثماني، تميز الحكم فيها بتداول السلطة وكثرة حكامها إذا تعاقب على حكمها أكثر من 42 باي، وكان الحكم فيها بين الاستقرار والتدهور.

الفصل الثاني :الأحوال العامة في مدينة قسنطينة من خلال مؤلفات صالح العنتري.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية.

المبحث الثاني: الأوضاع الإدارية والاجتماعية.

المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية في مدينة قسنطينة.

المبحث الأول: الجوانب الثقافية والاجتماعية لقسنطينة خلال العهد العثماني:

عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ازدهارا في الحياة الثقافية وذلك من خلال المؤسسات التعليمية والدينية المختلفة والتي لعبت دورا كبيرا في إنعاش الحياة العلمية والدينية التي أثرت بدورها على المجتمع وذلك من خلال مختلف المراكز التعليمية.

المبحث الأول:الأوضاع السياسية بمدينة قسنطينة:

تميزت سياسة الحكام الاتراك في الفترة الاولى من القرن السادس العشر، والنصف الأول من القرن السابع عشر بعدم التدخل في شؤون السكان الداخلية والاكتفاء بالتعامل مع الشيوخ والمرابطين الذين كانوا يقدمون نيابة عن السكان ما يفرضه البايليك من مطالب مخزنية وضرائب لكن منذ أواخر القرن السابع عشر انتهج الاتراك سياسة ترمي الى مد النفود الى الجهات الداخلية للبايليك وإخضاع القبائل، وقد اتبعوا في ذلك أسلوبا يعتمد على القوة، ويتصف بعدم مراعاة ظروف وأحوال الأهالي، و هذا ما تسبب في حدوث الإضرابات واندلا ع الثورات التي جاءت كرد فعل على سياسية الحكام[1].

ومن أبرز هذه الثورات التي حدث في الشرق الجزائري نذكر:

1_ ثورة أحمدالصخري:

تعد أكبر ثورة حدثت في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني وقد كان ذلك سنة م1047، فقد هزت هذه الثورة أركان النظام العثماني وكادت تطيح به لأنها شملت المنطقة الواقعة بين الزاب وحدود تونس إلى حدود السلطة المركزية بالجزائر وضواحيها، وقد طالت مدة هذه الثورة مما تسبب في سقوط عدد من الباشوات وعدد كبيرا من الأرواح وبسببها عمت مدينة قسنطينة فوضى كبيرة لم تبرأ منها طويلا [2].

وخلاصة هذه الثورة أنه في يوم 17 جوان 1637م استدعى مراد باي الى معسكره قرب مدينة قسنطينة محمد الصخري بوعكاز مع كبار عرشه، وأوقفهم وحاكمهم بواسطة مجلس الديوان بتهمة

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1984، ص 36.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 216.

الخروج عن الطاعة والتعاون مع الأعداء فأشاروا عليه بقتله فحكم على محمد بن الصخري وابنه، وستة من كبار قومه بالإعدام [1].

وبعد مرور عام على هذه الحادثة أي سنة 1048 ثار أحمد بن الصخري وهو أخ للقتيل، وقاد جموع العرب والحنانشة والذواودة وغيرهم ضد العثمانيين، وقد هاجم الثوار مدينة قسنطينة ونشبت معارك كثيرة في مختلف البايليك شملت مواطن الزيبان والصحراء وعنابة[2].

ومن المعارك التي تعرض لها الباي مراد لهزيمة ساحقة هي معركة سهل فيجل قرب سطيف أين اضطر أن يفر بنفسه رغم النجدات الكثيرة التي ارسلها له الباشا بقيادة كل من القائد يوسف والقائد شعبان، وفي عام 1638 جاءت نجدات أخرى إلى مراد باي بقيادة الاغا يحي فتوسط الاغا يحي بشيخ أولاد عزام ليصلح ذات البين وتم الاتفاق على أن يدفع الدواودة والحنانشة ضريبة اللزمة وان تعاد مراكز صيد المرجان الفرنسية لعملها لأنها كانت مصدر التجارة الخارجية في البايليك[3].

وعندما تولى جمال جمال يوسف باش السلطة عام 1640_ 1642م عزم بنفسه على مواجهة الثوار فذهب إلى قسنطينة واجتمع مع الباي مراد وكبار رجاله وتدارس معهم أمور وأوضاع البايليك، وقد جند الباشا كل الوسائل للقضاء على الثورة وقرب إليه العلماء ورجال الدين وطلب مساعدتهم في الكثير من القضايا وعالج أمور الجنود الانكشاريين الذين كانوا يتسببون في الفوضى والاضطرابات[4].

---

[1] محمد الصالح العنتري، المصدر السابق ، ص 36.

[2] أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص217.

[3] محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، 37 .

[4] نفسه، ص 38 .

2_ ثورة ابن الأحرش:

أما في فترة حكم عثمان باي فأشهر ثورة شعبية ضد الحكم التركي كانت ثورة ابن الأحرش سنة 1219هـ_ 1804 م[1]؛ زعيم هذه الثورة هو ابن الاحرش اسمه الكامل محمد بن عبد الله الشريف الدرقاوي [2]؛ قال عنه الشيخ المبارك هو رجل مغربي يزعم انه من شرفاء ملوك فاس[3].

وقال عنه الزياني بأنه فتى مغربي مالكي مذهبا درقاوي طريقة درعي نسبا؛ وابن الأحرش رجل في مقتبل العمر اتصف بالحيلة والطموح والمكر كما اشتهر ببلاغة أسلوبه في الحديث وفصاحة لسانه في مخاطبة الناس[4].

شارك ابن الأحرش في الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798_ 1801م حيث شارك في مقاومة الجيش الفرنسي مع جماعة من أهالي المغرب الأقصى والجزائر وجنود المصريين، وقد اكتسب في مقاومته هذه شهرة واسعة لما أبداه من شجاعة وبلاء في مواجهة الجيش الفرنسي، ولما بلغ خبره لأمير تونس حمودة باشا بعث له واستقدمه، قلما قدم عليه عظمه وشكر صنيعه وأحسن إليه، وكانت لدى حمودة باشا دسيسة في خاطره على ملوك الجزائر، ولم يظهر لهم ذلك خوفا منهم، والتزما لوصية أبيه عليباي على أن لا يعادي حكام الجزائر [5].

فاستغل حمودة باشا طموح و شجاعة ابن الأحرش فاستدعى في أحد الأيام ابن الأحرش وطلب منه القيامبالثورة على أتراك الجزائر فوسوس له قائلا أن رجلا مثلك شجاع، يجب أن يذهب إلى ملك

---

[1] الحاج المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 111.

[2] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 29 .

[3] الحاج المبارك بن العطار، نفسه، ص 111-112 .

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 266.

[5] الحاج أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب إشراف الجزائر 1753-183، تق وتح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1830م، ص 85.

الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك، وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم عنه لاغير[1] .

اتسع هذا الكلام في عقل ابن الأحرش ووافق عليه، ومنهم من يقول أنه من أسباب ثورة ابن الأحرش أن ابن الأحرش تعرف على بعض القادة الانجليز لما كان بمصر فهم الذين شجعوه على القيام بالثورة لضرب المصالح الفرنسية في الجزائر، بينما هناك من ذكر أن ابن الأحرش قد يكون تلقى تعليمات من شيوخه بالمغرب الأقصى، ليعلن الحرب على العثمانيين، وهناك من يقول أن ابن الأحرش تأثر بالحركة الوهابية المناهضة للوجود العثماني[2].

ومن بعدها قدم ابن الأحرش إلى مدينة عنابة على متن سفينة انجليزية، ثم تحول فيما بعد إلى مدينة قسنطينة حيث قضى فيها بعض الوقت واطلع على أحوالها، وبعدها توجه إلى مدينة جيجل قصد الاستقرار بها وهناك بدأ يخطط لثورة جمع حوله أنصار من مختلف القبائل، وأدعى بإظهار المعجزات والكرامات[3].

وزعم أنه صاحب الوقت، وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه فمالت إلى صفه كل من قبائل أولاد عيدون وقبائل بني مسلم وبني خطاب، فجمع في ذلك الحين جيشا من القبائل يتكون من عشرة آلاف رجل وتوجه به إلى قسنطينة، وقد استغل ابن الأحرش غياب حاكم قسنطينة عثمان باي إذا كان بمحلته في نواحي سطيف، فتقدم ابن الأحرش بجيشه للبلد خرج لتصدي له قائد الدار الحاج أحمد بن الأبيض ومعه طائفة من المشاة و الفرسان تقدر بحوالي ألف مقاتل ، فالتقى الجمعان في عقبة الصمارة، فوقعت بينهم مناوشات حادة حتى ولت هزيمة على قبائل فتراجع ابن الأبيض ومن معه داخل الأسوار لمنع تسرب ابن الأحرش إلى داخل المدينة[4].

---

[1] الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص85- 86 .

[2] ارزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني 1519- 1830، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006، ص31 .

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 269.

[4] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة،المرجع السابق، ص 30- 31.

حيث قاتلوهم أهل البلد من فوق الأسوار، ورموهم بالمدفع فانهزم ابن الأحرش وأصيب بجروح خطيرة في يده وفر هاربا ومات من القبائل خلق كثيرا [1].

انتهى خبر هجوم ابن الأحرش على قسنطينة إلى الباي عثمان وهو في طريق العودة من الجزائر بعد أن قدم الضرائب السنوية المتوجهة من بايليك الشرق إلى الجزائر، فاجتاز بسرعة وطن ريغة وسارع بالالتحاق بقسنطينة عن طريق ميلة [2].

وعندما وصل سارع إلى إعادة تنظيم الدفاع عن المدينة والاستعداد لملاحقة ابن الأحرش والإيقاع به، لاسيما أن داي الجزائر بعث إليه بخطاب شديد اللهجة يأمر فيه بتجهيز محملة قوية يتوجه بها إثر الشريف ويقطع دابره، ويعاقب كل من تبعه من أعراش وقبائل الذين تبعوه، وفي الحين جهز محملة عسكرية قوية وزاد عليها زملا [3].

فغادر الباي عثمان قسنطينة متوجها إلى ناحية وادي الزهور حيث يقوم ابن الأحرش، وقد اجتاز في طريقه نحو ابن الأحرش مواطن بني تليلان، وبني عيدون ووصل إلى مشارف أراضي بني فرقان بناحية وادي الزهور، وأثناء ذلك قام بتحركات عسكرية قصد تخويف السكان وإشعارهم بهيبة البايليك، فقدمت إليه بعض أفراد تلك القبائل يظهرون له الطاعة ويطلبون منه المدد للقبض على الثائر ابن الأحرش، وقد أورد الشيخ المبارك مطالبة هؤلاء الأفراد للباي بهذه العبارة (ابعث معنا الخيل نمسك الشريف و نأتيك به)[4].

فبعث الباي فرقة من الفرسان تتكون من حوالي خمسمائة فارس يقودهم أغا الدائرة، فلما وصلوا إلى واد هناك صعب أحاط بهم القبائل، وعزموا على قتلهم ولاجئوهم إلى سفح جبل وبقوا هناك ثلاثة أيام أو أربعة أيام هم وخيلهم جوعا وعطشا [5].

---

[1] أحمد مبارك بن العطار، المصدر السابق، ص 113.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 272.

[3] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص 32.

[4] ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 273.

[5] أحمد مبارك بن العطار، نفسه، ص114.

فلما سمع عثمان باي بهم أمر المحلة بالرحيل وركب هو وجنوده وسار إلى عين المكان وشتت المحاصرين بالمدفعية وتمكن من إنقاذ بعض الجنود، لكن ما لبث أن تعرض الباي للحصار من طرف القبائل التي أحاطت به وبجيشيه من كل الجهات فاضطر الباي وأتباعه أن يعسكروا في سهل وادي الزهور وصادف في هذه الليلة نزول للمطر، فاستعان القبائل بذلك على استعمال مكيدة للباي وأتباعه، وهي تحويل مجرى سيل وادي الزهور نحو السهل الذي عسكر فيه الباي فلم يشعروا بتلك المكيدة حتى أدركهم الغرق من كثرة الماء وشدة الوحل فلم يجدوا مسلكا للرجوع لأن الأرض المرجة خضخاض فتم هلاكهم بها، وفيها مات عثمان باي سنة 1219هـ- 1804م [1].

وأما ابن الأحرش فقد واجه مصاعب جمة من جراء مطاردة فرق الانكشارية له ، وتتبع رجال القوم له ومعاداة شيوخ الزوايا له، و في هذه الظروف تتكرر أخبار موت ابن الأحرش فشاع انه قتل بالقرب من ميلة اثر تشتت جموعه على يد الباي عبد الله[2].

لقد أسفرت هذه الثورة عن نتائج خطيرة إذا تسببت في أضعاف نفوذ البايليك بالأرياف وعزل المدن عنه، كما خلفت هذه الثورة خسائر مادية وبشرية فادحة في الأموال والأرواح، كما اضطربت فيها الأحوال الاقتصادية حيث أهمل الجانب الفلاحي وتخلى الناس عن الحراثة من كثرة الهول والاضطرابات فنزل القحط بالبلاد وحلت المجاعات وقلة الحبوب والمحاصيل[3].

لم تتوقف الثورات في قسنطينة عند هذين الثائرين فقط فقد شهدت المدينة عدة ثورات، فرغم شهرة صالح باي فإن عهدهم يخلوا من الثورات ولاسيما تلك الثورات التي قادها المرابطين[4].

---

[1] صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص 32- 33.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 277.

[3] صالح العنتري، نفسه، المصدر السابق، ص 34.

[4] أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 219.

استخلص من هذا أن مدينة قسنطينة عرفت نظاما ادريا وتمثل في سيطرة العناصر المحلية على الوظائف الإدارية، حيث ارتبط نظام الحكم في المدينة بهيئة من الموظفين الذين يشرفون عليه ويؤثرون على مختلف أجهزته، في حين أن الوظائف الإدارية في الأرياف استندت فيه إلى الأعراش والقبائل المخزنية؛ كما أن الأوضاع السياسية في قسنطينة لم تكن مستقرة أتم الاستقرار ولا مضطربة.

المبحث الثاني: الأوضاع الإدارية والاجتماعية بقسنطينة:

أولا– التنظيم الإداري:

من أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة قرر حسن بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى أربع أقسام كل منها يحمل اسم بايليك، وهي بايليك الجزائر العاصمة الذي يحمل اسم دار السلطان وبأيليك الغرب، وبايليك البيطري وبأيليك الشرق أو بايليك قسنطينة، ويحكم كل بايليك نائب عن الباشا بالجزائر يحمل لقب الباي.

تميز بايليك قسنطينة بأن سلطة الأتراك فيه لم تتمكن في وقت من الأوقات من السيطرة على منطقة الشرق[1].

فقد أشار ابن العطار إلى سياسة الحكم في مدينة قسنطينة كيف كانت مقسمة بين الأتراك وأهالي قسنطينة، قائلا انه بعدما وقع الصلح بين الفريقان كان تصريف الوطن بينهم أثلاثا ثلثه لابن علي شيخ العرب، وثلثه لشيخ حنانشة، وثلثه للحاكم التركي[2]. قسم بايليك قسنطينة ادريا إلى أربعة أقسام على كل واحد منها حاكم مستقل عن الأخر، يخضع مباشرة للباي بقسنطينة وهي: القسم الشرقي ويشمل مواطن الحنانشة، و وادي زناتي وعامر الشراقة، وقسم شمالي يمتد من عنابة إلى بجاية من ابرز زعمائه أولاد بن عاشور، والقسم الغربي الذي يمتد من سطيف إلى جبال البيبان وقرى بني منصور وونوغة من ابرز زعمائه أولاد مقران بقلعة بني عباس ومجانة، وقسم جنوبي اهم زعمائه الدواودة، وأولاد بن فايت.

---

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ قسنطينة في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، ص 298.

[2] أحمد مبارك بن العطار ، المصدر السابق ، ص 51.

وقد كانت مدينة قسنطينة عاصمة لبايليك شرق، يحكمها نائب عن الباشا بالجزائر يحمل لقب الباي[1].

ودولة الباي هذه تتكون من موظفين كبار يحيطون بالباي، ويشاركونه في إدارة البايليك ويشتركون معه في اتخاذ القرارات، ويتصلون به بصفة مباشرة ويحمل هؤلاء الموظفون اسم رجال المخزن وكان حضورهم ضروري عندما ينظر في القضايا العامة نذكر منهم:

1- الخليفة:

وهو مسؤول عن شؤون الأوطان وأقاليم البايليك، يخضع له القواد وينظم عملية استخلاص الضرائب، ويتولى إخضاع السكان لحكومة البايليك. ويكلف بحمل الدنوش مرتين في العام إلى الداي بدار السلطان إذا تعذر عن ذلك الباي[2].

2- قائد الدار:

وهو بمثابة شيخ البلدية، مكلف بالإدارة وشرطة المدينة واليه يعود أمر حفظ الأمن بالمدينة. كما أنه كان يدير القسم الأكبر من الأملاك الريفية التابعة للبايليك والعقارات المصادرة بالمدينة، وكان يشرف على تخزين الحبوب وغيرها من المنتوجات والمحاصيل[3].

3- النفاد أو المقتصد:

وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية، من مصاريف وجمع الضرائب والدنوش.

---

[1] محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 18.

[2] عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936 – 1253 هـ _ 1592 _ 1837) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2009 _ 2010م، ص21.

2غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، ص 208.

4- قايد الدايرة:

وهو رئيس فرقة الفرسان المخزن، يدير فرق القوم غير المنظمة في الأرياف.

5- الباش كاتب:

وهو الأمين الأول للباي، كما يحمل لقب كاتب سر، كان الباي يوكل إليه مهمة حمل خاتمه، وكان يحرر ويصحح برقيات ورسائل الباي ومل ما يتصل بشؤون سياسة البايلك، وكانت تحت سلطته اثنان وعشرون قبيلة يتلقى من أعضائها حقوق الفرح و حقوق تعيين شيوخها، وعليه دفع 5000 بوجو كحق تعين [1].

6- الباش سيار:

وهو رئيس البريد، يحمل بنفسه رسائل الباي إلى الباشا بالجزائر العاصمة، ويعود برسائل الباشا إليه كما يصاحب الخليفة عندما يذهب بالدنوش إلى الجزائر [2].

7- باش سايس: مسؤول عن حيوانات البايلك، وحمايتها ورعايتها والاعتناء بها.

8- باش شاوش:

مكلف بتنفيذ الأوامر الموجهة إلى الأتراك، توضع تحت سيطرته كتيبة من الجنود الانكشاريين؛ وفرقة من فرسان الصايحية الكراغة، وقوات أخرى من المخزن لتدعيمها [3].

---

[1] احمد سيساوي ، البعد البايكلي في المشاريع الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838 _ 1871، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة قسنطينة 2013، ص 33.

[2] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 21.

[3] نفسه، ص21-22.

9- شاوش الكرسي:

وهما اثنان من أصل تركي، يتوليان مهمة الجلد ويصطحبان الباي عند خروجه حيث يسيران أمامه ويلقون التحية باسم الباي[1].

ويأتي بعد هؤلاء المخازنية في درجة ثانية عدد من الموظفين الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة ولهم مهام مختلفة مثل:

- **أغا الصباحية:** وهو المسؤول عن الصباحية.
- **شاوش محلة الشتاء:** مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جنود المحلة من المؤن والغادية.
- **باشا العلم:** وهو الذي يحمل العلم أمام الباي عندما يخرج في مهمة سواء في الخرب أو السلم.
- **باش سراج:** وهو المسئول عن اصطبلات الباي في عاصمة البايليك . بالإضافة باشا المكاحل وباشا خزناجي، وباشا الطبل، و باشا منافا [2].

الجهاز الشرعي والديني بقسنطينة:

وهي الهيئة التي أسندت لها المهام القضائية والتشريعية والمهام الإدارية، وتدخل في إطار تنظيم البايلك وتستند إلى الشرع الإسلامي والسنة. فقد وجد بمدينة قسنطينة مفت وقاض مالكي لعموم الناس، وقاض حنفي للأتراك والكراغلة، وعدلان وناظر للأوقاف الإسلامية. هؤلاء جميعا يشكلون المجلس الشرعي الإسلامي الذي يجتمع كل يوم جمعة للنظر في القضايا والفتاوى المختلفة، و يرأسه الباي، أو قائد الدار في حالة غياب الباي[3].

---

[1] عطاس عائشة، المرجع السابق، ص 209 .

[2] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، 22.

[3] نفسه، ص24.

القوة العسكرية بقسنطينة:

أما عن القوات العسكرية للبايلك قسنطينة فقد تألفت من حوالي 45 ألف رجل موزعين على النحو التالي 22000 من المشاة، و23000 من الفرسان الخيالة، ينتمون إلى ثلاث فئات:

1-جنود المليشيا:

يجندون من الأتراك، وبعض الكراغلة مهمتهم الخدمة في النوبة، والمشي مع محلة الدنوش.

2- جنود الزمول أو رجال الزمالة:

يجندون من قبائل المخزن، يرأسها قائد يعرف بقائد الزمالة. مكان تمركزهم بين قسنطينة وعين مليلة[1].

3- جنود الدايرة:

وهم رجال حرب و فرسان، يجندون من كل القبائل، يشرف عليهم أغا الدايرة يبلغ عددهم ألف فارس[2].

أما عن مداخيل البايلك فقد اعتمدت خزينة الدولة على ثلاثة موارد رئيسة هي :

- الضرائب مثل العشور على الحبوب والحكر على الأراضي، وضرائب التبن والغرامات النقدية وغيرها.
- عوائد أرضى البايلك وممتلكاته المختلفة من مزارع وأحواش والأراضي المؤجرة للخماسة وأراضي الوقف، وأراضي العزل.
- عوائد التولية و الغرامات، والحجر، وضرائب أخرى [3].

---

[1] نقل صالح باي جنود الزمالة إلى سهل عين مليلة على طريق باتنة، وأسكنهم هناك، وملكهم أراضي خصبة في عين الكريشة وبرج الفسقيا، وأمرهم باستصلاحها وزرعتها وممارسة تربية الخيول بها لصالح إدارة البايلك.

[2] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 24.

[3] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 25 .

كانت هذه الهيئات أكثر تنظيما و صرامة لأنها كانت مصدر مداخل البايلك، فقد حافظ هذا التدرج في الوظائف والرتب على مصالح الجماعات وحافظ على نفوذها الاجتماعي ونشاطها المتميز بين الطبقة الحاكمة وفئات المجتمع.

إما عن نظام حكم في الأرياف والبوادي فقد كانت سلطة تستند فيه إلى الأعراش والقبائل المخزنية التي تنفذ أوامر القادة الأتراك ثم أصبحت وسطية، فقبائل المخزن هذه كانت تتشكل من مجموعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية وهي ذات أصول مختلفة[1].

فبفضل قبائل المخزن استطاع الأتراك أن يفرضوا سيطرتهم ويمدوا نفوذهم على جهات متباعدة، كما تكمنوا من استخلاص الضرائب وإخضاع الثائرين[2].

ثانيا: الفئات السكانية لمدينة قسنطينة:

تشكل سكان مدينة قسنطينة خلال العهد العثمانية من عناصر متمايزة ومتباينة في نشاطها و حياتها والنظم التي تتحكم فيها، وقد اختلفت بعض الإحصاءات واتفق البعض الآخر حول عدد سكان قسنطينة خلال العهد العثماني، فقد قدر شلوصر عدد السكان بحوالي 30 ألف نسمة[3].

في حين ذكر وليام شالر بان عدد السكان قسنطينة بلغ 25 ألف نسمة [4]؛ كما ذكر القبطان هيبولت الضابط بهيئة الاركان الفرنسية ان عدد سكان المدينة في العد التركي وقبيل الاحتلال الفرنسي تراوح بين 25 و30 نسمة [5].

---

[1] عميراوي حميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث قسنطينة، ص 36 .

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2، دار البصائر الجزائر، 2009م، ص، 206.

[3] فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 79.

[4] محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 82.

[5] نفسه، ص 82.

أما اذا حاولنا تصنيف السكان حسب أصولهم فإننا نجد العنتري صنفهم في ثلاث مجموعات عرقية متمايزة، و هم العرب والقبائل والشاوية تربط بينهم العقيدة الدينية، واللغة، والعادات والتقاليد[1].

كما تنوع بفئات أخرى من الترك واليهود،[2] وإلى جانب هذا التقسيم فإنه وجد بمدينة تقسيم أو تصنيف آخر، يمكن القول عنه أنه تقسيم طبقي من الناحية الاجتماعية، حيث يمكننا من اكتشاف فئات أخرى تكون منها المجتمع القسنطيني وعليه يمكن أن نصنف فئات المجتمع إلى:

1- العرب:

وهم بدوا متنقل، يعيشون مجتمعين فيما بين 50 و100خيمة يطلق عليها اسم الدوار، ويكون عدد من الدواوير بلادا، يحكمهم قائد ينظم أمورهم التجارية [3].

تمثل ثروتهم الأساسية في امتلاكهم للماشية، اهتموا بزراعة القمح والشعير، وتتكون تجارة العرب من الغلال والماشية والصوف و يأخذون بدلها من القبائل زيت الزيتون والتين والبندق[4]. **2_القبائل:**

فئة تختلف عن باقي الفئات سواء في اللغة أو العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة، يعتبرون السكان الأصلين في البايليك[5].

وسكن القبائل القرى والمدن الصغيرة نقية الهواء، التي تقع فوق قمم الجبال، وتتمثل ثروتهم في زراعة أشجار الزيتون واستخراج زيت زيتون، كما اشتهر القبائل بتربية النحل وصناعة البنادق والبارود[6].

---

[1] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص19.

[2] فندلين شلوصر، نفسه، ص 80 .

[3] فندلين شلوصر،المصدر السابق، ص89.

[4] نفسه، ص90.

[5] نجاة نوارة، الإدارة المحلية في بايليك قسنطينة 1520-1830م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018- 2019م، ص 28 .

[6] فندلين شلوصر، نفسه، ص 97 .

3-الأتراك:

هي طائفة مغلقة ومنعزلة عن فئات المجتمع ،متمسكة بلغتها التركية ومذهبها الحنفي، تخضع لنظام قضائي خاص ولها امتيازات خاصة[1].

4- الكراغلة:

وهي فئة جديدة ظهرت أثناء الوجود العثماني بالجزائر، شكلت إحدى شرائح العليا للمجتمع؛ المولدين من أباء عثمانيين، وأمهات جزائريات، و يقول عنهم أنهم فئة ثائرة على الأتراك كانت تطمح للوصول إلى مقاليد الحكم[2].

بلغ عددهم في قسنطينة حوالي 5025 عائلة، وقد استفاد كراغلة قسنطينة من وصول عدد منهم إلى قمة الحكم بالبايلك، أمثال حسين بوحنك، حسين بن صالح باي، عثمان بن محمد الكبير والحاج أحمد باي[3].

4_ اليهود:

تشكل أحد العناصر البشرية المهمة في المجتمع، كانوا يشكلون ملة مميزة معترف بها ، مارسوا جميع فروع التجارة، والسمسرة و أعمال المصارف وتبديل العملة [4].يخضعون لقائد يعرف بالمقدم اليهود

---

[1]صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830م، دار هومة للنشر والتوزيع الجزائر، 2012م، ص357.

[2]أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 155.

[3]جميلة معاشي، الانكشارية والمجتمع بباياليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث قسم التاريخ والآثار،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص 360-361 .

[4]وليام شالر، المصدر السابق، ص 98.

يدير شؤونهم ويقدم ضريبة الرأس للباي نيابة عن باقي الأفراد، وقد بلغت عدد اليهود في قسنطينة حوالي 5000 يهودي [1].

5_ الدخلاء:

هم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري، وتكونت هذه الفئة من الأقلية المسيحية والعبيد، والأسرى والقناصل والتجار، ورجال البعثات الدينية ووكلاء المؤسسات التجارية، وقد ازداد عددهم في قسنطينة بداية من القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي شهدته المدينة [2].

5– البرانية:

يتكون البرانية الذين وصل عددهم في قسنطينة إلى 5000 فرد، من سكان الريف أو المدن الصغرى وكان نزوحهم إلى عاصمة البايلك بهدف العمل لتحسين المستوى المعيشي لأسرهم[3].

ومن بين هؤلاء جماعة بني ميزاب الذين اشتغلوا في المطاحن والمخابز والحمامات، وكذا البساكرة الذين اشتغلوا في أعمال التنظيف والحراسة، والجواجلة الذين، موظف يعينه الباي يسمى أمين يوكل له الحق في مراقبة هذه المجموعات ويساعده في ذلك أعوان وكتاب وشواش[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 103.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 104.

[3] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 194.

[4] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، نفسه، ص 99.

الأحوال الصحية لمدينة قسنطينة:

تعد الأحوال الصحية أول مقياس لتحديد الحالة الاجتماعية لمنطقة ما؛ لأن ظهور الأوبئة والأمراض من العوامل التي تتسبب في تأخر المجتمع و ضعفه، وذلك نظرا لما تلحقه من أضرار على المستويات الاقتصادية والاجتماعية، ومن الملاحظ أن هذا العامل قد أثر على الأحوال المعيشية في مدينة قسنطينة فقد عرفت مدينة قسنطينة العديد من الأوبئة التي كان لها الأثر كبير على الأهالي، ومن بين هذه الأوبئة نذكر:

1- الأوبئة:

طاعون 1756 انتشر هذا الوباء بمدينة قسنطينة، و تشير بعض المصادر أن سبب انتشاره في المدينة لسفينة انجليزية قادمة من أزمير.

ويعتبر وباء 1202 هـ / 1787م من أخطر وأعنف الأوبئة التي عرفتها قسنطينة خلال عهد صالح باي، حيث وصل عدد الضحايا في المدينة إلى ألف و مائتي ضحية[1].

طاعون 1793 انتشر ببايليك الشرق خاصة في مدينة قسنطينة، أما عن مصادر هذا الوباء كان عن طريق جرثومة انتقلت إلى الإنسان من فئران الميناء، أما عن سبب العدوى في مدينة قسنطينة كان بسبب البساكرة الذين كانوا يفرغون البضائع من السفن لتنتقل بذلك العدوى إلى المدينة، وقد وصل عدد الضحايا فيها ما بين 80 إلى 100 ضحية يوميا [2].

---

[1] أرزقي شويتام ، المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني 1519_ 1830م، المرجع السابق.

[2] مختاري علي، الطاعون في الجزائر بين 1700- 1830م، مجلة آفاق الفكرية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس الجزائر، 2021، ص120.

وخلال عامي 1011_1012 هـ/ 1603 فتك الطاعون في قسنطينة خلقا كثيرا، وقد صاحب هذا الوباء قحط وجفاف، تواصل مدة تسع سنوات كاملة وأدى هذا إلى حصول مجاعات خلفت ضحايا كثيرة[1].

لم يكن وباء الطاعون السبب الوحيد في تدهور الأوضاع الاجتماعية، بل هناك أوبئة أخرى لا تقل خطورة ساهمت هي الأخرى في تردي الأحوال نذكر منها: الجدري، الكوليرا، التيفوس، والدمل والسل، وقد ساعد على توطن هذه الأوبئة والأمراض الموسمية انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية للمدينة، وعدم إلتزام السكان بالقواعد الصحية التي كانت تتميز بها الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب العربي، زد على ذلك إهمال الحكام للجانب الصحي لسكان فهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ولم يفرضوا أي نظام حجر صحي على الأشخاص باستثناء محاولة صالح باي عام 1787م، أين فرض حزام صحي حول عنابة و منطقتها ليمنع انتقال العدوى إلى مدينة قسنطينة[2].

2-الأمراض:

إذا استثنينا بعض الأمراض التي كانت تظهر من حين إلى آخر، فإنه يمكن القول أن الأمراض الخطيرة كانت قليلة خلال العهد العثماني، ومن الأمراض التي كانت تظهر خلال فصل الربيع والخريف مرض الرمد الذي كان بصيب الأطفال، وأمراض الحمى التي كانت تصيب سكان الأرياف القاطنين في المناطق السهلية نظرا لكثرة المستنقعات، وكانت وطأتها تشتد في فصل الربيع[3].

وهناك من أرجع أسباب عدم انتشار الأمراض إلى اهتمام الأهالي بالجانب الصحي، واعتنائهم بنظافة ملابسهم وأبدانهم، فقد أشار حمدان عثمان بن خوجة إذا قال: الأمر الذي جعلنا لا نجد فيها

---

[1] محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 32.

[2] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 88.

[3] ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص277.

تلك الأمراض الكريهة أو أمراض الجلد، ومرض الزهري لم يعرف إلا حديثا ويسمى (باريس)، ويعالج بحمية من أصعب ما يكون ولكن المريض يشفى شفاء كاملا في ظرف شهرين[1].

وعلاوة على هذه الأوبئة، فقد ساهمت الكوارث الطبيعية مثل المجاعات والجفاف والقحط والجراد والزلزال في تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في قسنطينة، ومن أشهر المجاعات التي عرفتها مدينة قسنطينة، مجاعة 1219هـ/ 1804-1805م؛ إذا وقعت بمدينة مجاعة شديدة وقحط أهلك الأهالي ودام الحال عليهم ثلاث سنين متوالية[2].

وكذلك المجاعة التي وقعت في عهد صالح باي، وسميت هذه المجاعة بعام قرامو كناية على الشهر الذي وقعت فيه، إذا وقع في مدينة قحط شديد وغلاء في الأسعار فارتفع سعر الحبوب، وبيع الصاع الواحد بخمسة ريالات سكة[3].

المبحث الثالث: الحياة الثقافية:

رغم الحملة التي تزعمها الشيخ عبد الكريم الفكون على من ادعى العلم والولاية في عصره فإن الحياة العلمية بقسنطينة كانت بخير وهناك عدّة مؤشرات تدل على ذلك، فقد كان بمدينة قسنطينة رصيد قوي من الثقافة ورثته عن العهد الحفصي وعرفه القرن التاسع الهجريالخامس عشر ميلادي، بحيث عرّف إقليم قسنطينة في القرن الموالي نشاطا واضحا في الحياة الثقافية لم تؤثر فيه كثير من الأحداث

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المرأة تق وتع وتح محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م، ص 66.

[2] محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة،المصدر السابق، ص 23.

[3] محمد صالح العنتري، نفسه، ص 45.

السياسية التي عرفتها المنطقة، فقد انتشرت الزوايا بعضها تحت رعاية الطرق الصوفية في الأرياف وبعضها تحت رعاية العائلات الكبيرة في المدينة[1].

وكانت هناك بعض المدارس المخصصة لنشر العلمكما كان هناك جامع الزيتونة القريب والذي كان الطلبة يقصدونه بقطع النظر عن التحولات السياسية، صحيح أن الحياة العلمية لم تكن مزدهرة وأن العلماء كانوا يكتفون بالقليل من العلم لتولي المناصب الشرعية، وصحيح أن الدراويش قد كثروا ودجاجلة التصوف قد تعددوا وبذلك تكون حملة الفكون عليهم ليست مبالغة ولا ادعاء، وإنما كان يصف واقعا أخذ يتضخم تدريجيا ويهدد الحياة العقلية في البلاد بأسرها، ومن ثمة يهدد وجود الإسلام نفسه ولغته العربية[2].

وإذا عدنا إلى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وجدنا الشرق الجزائري قد عرف شخصيات عملية متميزة، من بينها عمر الوزان، ويحي الفكون بمدينة قسنطينة، وعبد الرحمن الأخضريمن الزيبان وقد أخرج هؤلاء الرجال مجموعة من التلاميذ البارزين منهم من قاد العلم فيما يأتي من الأيام ومنهم من جمع بين العلم والتصوفبل منهم من تزعم ثورات هددت النظام العثماني في قسنطينة مثل يحيالأوراسي.

وقد ذكر لنا الشيخ الفكون مجموعة من أعلام القرن العاشر الهجريتصدروا جميعا للتدريس والفتيا والقضاء ذكر لهم تأليف وأشعارا وخص بعضهم بالإشارة ومنهم عبد اللطيف المسبحالذي اشتهر بالحساب والفرائض رغم معرفته العميقة بالفقه، ومحمد العطار المتوفى سنة 943، وأحمد الغربي شارح رسالة عمر بنالخطاب وله غيره من المؤلفات، وقاسم الفكونالذي تولى الإمامة بجامع البلاط بتونس ثم تولى القضاء بقسنطينة وتوفي في سنة 965.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م، ص28.

[2] نفسه، ص28.

وكما اشتهرت قسنطينة ونواحيها بهذه الحياة العلمية التي مثلها رجال اشتهروا بالوظائف والتدريس والتأليف سواء في القرن العاشر أو الحادي عشر، اشتهرت أيضا بعدد من العلماء الزائرين والطلبة الراغبين في تحصيل العلم فيها.

ولعل من أبرز الشخصيات التي وردت على قسنطينة في القرن الحادي عشر القاضي العثماني المعروف بالمولى علي الذي نزل عند الشيخ الفكون وكانت معه مكتبة عظيمة[1].

اشتهرت قسنطينة بأنها مدينة العلم ، فقد حافظ علماؤها على تقاليد التعليم المسجدي منذ العهد الحفصي،إذ اعتبرت المساجد المنبع الأول للتعليم[2].

1- المساجد:

كثيرا ما يختلط على الباحث اسم الجامع والمسجد والزاوية، ذلك أن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزاوية معينة، كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة، والتداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا فالجوامع والمساجد كانت للعبادة والتعليم كما أن الزواياكذلك أحيانا ومهما يكن اسم ووظيفة وحجم هذه المؤسسات فإننا بالنسبة للمساجد استعملناها وصنفنها في معناها العام باعتبارها أماكن للعبادة وأماكن لنشر العلم فقد شهدت وعرفت أغلب المدن الجزائرية تشييد عدّة مساجد وبناء المسجد الأول العتيق الذي يطلق عليه في الغالب اسم الجامع الكبير فقد يكون في المدينة من المساجد ما هو أوسع من الجامع الكبير مساحة[3].

وقبل مجيء الفرنسيينكان بقسنطينة حوالي مئة مسجد ومؤسسة دينية، والتي تسمى جامعا أو مسجدا أو زاوية حسب أهميتها وخصوصيتها؛ يوجد في كل مسجد إمام لأداء الصلاة؛ ومؤذنيؤذن للصلاة

---

(1) أبوالقاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص 36.

(2) أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1830-1954، ج3، ص 125.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1500-1830، ج1، ص245.

من أعلى المنارة، وشيخ ناظر أو مدير لأملاك الحبوس التي تخصص عائداتها فقط لصيانة المنشآت، ووكلاء أو أعوان مكلفون بجمع الإيجار على هذه الأملاك.

وأخيرا يجب شيخ البلاد،تلك الشخصية التي تعتبر المسؤولة عن الدين، والمرابط الخاص بقسنطينة فكان لبيته حق الجواروكانت أملاكه الضخمة معفية من الضرائب.

كان يدير حبوس مكة والمدينة، ويحمل لقب أمير الركب أو قائد قافلة الحجيج هذه الوظيفة التي كانت قبل استقرار الأتراك في الإيالة تابعة لعائلة عبد المومن، انتقلت إلى عائلة أولاد بن لفقون وبقيت فيهم حتى يومنا هذا[1].

وذكرأن مؤسسات التعليم كانت عبارة عن المدارس المخصصة لطلبة العلوم الدينية والمدارس المقامة من قبل السلاطين ومدارسالمحلات الأحياء التي أقيمت من بعض المحسنين[2].

لقد كانت العناية بالمساجد ظاهرة في المجتمع الجزائري المسلم فلا تكاد تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد ,فقد كان المسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعيان، ومركز الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب وقد كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى وقد اختلفت الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية فان بعض الإحصاءات تختلط فيها المساجد القديمة المؤسسة قبل العهد العثماني والمؤسسة أثناءه[3].

كما يوجد بمدينة قسنطينة مفتي، وقاضي مالكي لعموم الناسوقاضي حنفي للأتراك والكراغلة؛ وعدلان، وناظر للأوقاف الإسلامية، يؤلفون جميعا المجلس الشرعي الإسلامي الذي يجتمع كل يوم جمعة للنظر في القضايا والفتاوى ويرأسه الباي أو قائد الدار.

---

[1] أوجان فايست، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية1517-1837، ترجمة، أحمد سيساوي، دار كنوز يوغرطة، ط1،ص28.

[2] ناصر الدين سعيدوني، رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، ص 177.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، المرجع السابق، ص247.

وبمدينة قسنطينة أكثر من مئة جامع، ومسجد، وزاوية، وكتاب يعمل بها أئمة، ووعاظ، ومرشدون، ومؤذنون، وقيمون، وحزاب، ومعلمون للقرآن الكريم، ومدرسون للعلوم الدينية والأدبية[1].

كما تختلف الإحصاءات حول مساجد مدينة قسنطينة ففي عهد صالح باي الذي اعتنى بإحصاء المساجد وترميمها وتشييدها وقد بلغت كما جاء في السجل الذي أمر به خمسة وسبعين مسجدا وجامعا بالإضافة إلى سبعة مساجد تقع خارج المدينة، وقد جاء في بعض الإحصاءات المتأخرةأن قسنطينة كانت تضم؛ قبل الاحتلال الفرنسي خمسة وثلاثين جامعا أما الورثلاني الذي زار قسنطينة في القرن الثاني عشر هجري/18م فقد ذكر أنه كان فيها نحو خمسة جوامع خطبة وأن بعضها كان متقن البناء.

وكان إقليم قسنطينة على اتساعه قد اشتمل على عدد آخر من المساجد أيضا، فعلى سبيل المثال مدينة عنابة كان فيها سبعة وثلاثون مسجدا، أشهرها جامع سيدي أبي مروان، وفي سنة 1206 هـ أشاد فيها صالح باي جامعا أصبح يعرف بالجامع الجديد[2].

وكذا في عهد رجم باي وهو عم محمد باي بن فرحات فكان رجم باي ذو سيرة مليحة وقد حافظ على حقوق الناس وهو الذي قام ببناء جامع رحبة الصوفبمدينة قسنطينة[3].

ومما يؤكد الورثلاني محاولة بعض البايات تلافي هذا النقص أواخر القرن 18م فقد نهض صالح باي قسنطينة يتدبر الأمر ويحصي المساجد وأوقافها ويحاسب القائمين عليها من الوكلاء عليها وأمثالهم[4].

وتختلف الجوامع أيضا في حجم موظفيها، فبعضها كان كثير الموظفين حتى أن عددهم يتجاوز الستين موظفا كالجامع الكبير بالعاصمة، وبعضها كان يقوم عليه عدد لا يتجاوز أصابع اليد

---

[1] صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، المصدر السابق، ص 24.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، نفسه، ص248.

[3] صالح العنتري،المصدر السابق، ص 24.

[4] أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق، ص 251.

الواحدة،وعلى كل حال فان أغلب الجوامع كان له من الموظفين الوكيلوالخطيب والإمام،والمدرس والمؤذن، والحزاب وبعض القراء.

وكان لكل واحد من هؤلاء مرتب خاص به، حسب قدره ومكانته وعلمه،يأخذه من الوقف فنجد في قسنطينة قد كان موظفو جامع سوق الغزل في عهد صالح باي موزعين على النحو التالي مع مخصصات لكل منهم:

- 100ريال للخطيب.
- 50ريالللإمام.
- 30ريالالرئيس المؤذنين.
- 125 ريالا لخمسة مؤذنين (25 ريالا لكل منهم).
- 20 ريالالخمسة حزابيين (4ريالات لكل واحد).
- 4ريالات لحامل عكاز(أوعصا) الخطيب.
- 28 ريالا للمنظفين.
- 40 ريالا لناظر الوقف (أو الوكيل).
- 48 ريالا لمدرس المدرسة (التابعة للجامع).
- 144 ريالا لاثني عشر طالبا يحضرون دروس المدرسة [1].

ومن بين أبرز المساجد التي عرفتها قسنطينة خلال العهد العثماني نجد الجامع الكبير؛ وجامع سوق الغزل؛ وجامع سيدي الكتاني؛ وجامع القصبة؛ وجامع سيدي علي بن المخلوف، وقد احتوى بعضها على زخارف ونقوش جميلة كان بعضها مبنيا بالزليج النادر المستورد من تونس وايطاليا[2].

ثانيا– نماذج من بعض المساجد:

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، المرجع السابق، ص 257.

[2] نفسه،ص 261.

1-الجامع الكبير:

هو المسجد الموجود ببطحاء وهو أقدم جامع بالمدينة ويعود بناؤه إلى القرن الثالث عشر خلال العهد الحفصي [1]، بناه الباي حسين بوحنكالذي عرف باسم الشايب بوكمية، وهناك اختلاف حول تاريخ نشأته فالبعض يرجعه إلى الدولة الموحدية، والبعض الآخر إلى الدولة الحمادية لأن التاريخ الذيذكر في الكتابة الموجودةحول محرابه هي1136م؛ ترجعه إلى الدولة الحمادية كما عثر على كتابة أيام الاحتلال الفرنسي كتبت في 1222م، وفي هدا التاريخي يرجع إلىولاية يوسف المنتصر الموحدي أو أبي محمد عبد الواحد بن يوسف[2].

وقد كان أيضا للصلاة والتسبيح والتعليم كما جاء في اللوحة الجميلة المنقوشة عند بابه وكانت منارته تبلغ خمسة وعشرين مترا, وكانت له أوقاف هامة[3].

كما كانت للجامع الأعظم أملاك كثيرة عقاريةومنقولة داخل قسنطينة وخارجها وكانت الزكوات تدفع إلى الجامع أيضا بما في ذلك زكوات الوالي نفسه والمتولي لهذه الأملاك وهو الشيخ الفكون فيتصرف فيها بما يراه صالحا فيصرف منها على نفسه وعلى المسجد فيالبناء والنظافة وزيت وحصر ودفع الأجور للقائمين عليه كالمؤذنين والمنظفين والمدرسين والطلبة وغيرهم [4].

كما كانت تقام في الجامع المناظرات العلمية، ومن بين الذين كان لهم يد في هذه المناظرات نذكر على سبيل المثال: أبو راسي الناصري الذي قام فيه بمناظرة علمية، تناولت مواضيع مختلفة سواء في الفقه أو في المواضيع العامة، ومن أمثلة هذه المناظرات نذكر:

---

[1] فاطمة الزهراء قشي، معالم قسنطينة وأعلامها،مجلة الإنسانيات،مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد09 - 13-2013 ص 13.

[2] راوية جريدي، الحياة الثقافية في قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة الماستر، 2014 جامعة المسيلة، ص 26.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، نفسه، ص 261.

[4] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، 1406هـ-1986، المرجع السابق، ص 73.

- الموضوع الفقهي الذي كان في مجلس أبي العباس الشيخ أحمد العباسي،والذي دار حول استحباب صوم رجب وفي مجلس السيد الونيسي تناظر الرجلان في بعض المسائل الفقهية.

- أما المواضيع العامة، فقد كانت تتمثل في قضايا الزواج والطلاق والأسرة ومن أمثلتها الطريفة سؤال هل تزوج واحد من الأنبياء والرسل بحور عين[1].

2- جامع سوق الغزل:

يقع سوق الغزل أو جامع حسن باي[2]؛أن الكتابة التي تخلد ذكرى بناء جامع سوق الغزل موجودة بقصر أحمد باي بقسنطينة، وهي منقوشة على لوحة رخامية[3]، وهو من بناء الباي حسين بوكمية،الذي حكم البايليك بين سنتي 1713-1736م؛ حيث يرجع تاريخه حسب ماهو مسجل على اللوحة الرخامية بقصر أحمد باي إلى سنة 1741م والمقصود هنا بسوق الغزل "هو الصوف المهيأة للنسيج".

المخطط العام للجامع عبارة عن شكل مستطيل يتكون من مدخلين رئيسيين يقعان في الحائط الغربي ينفتحان على رواق عرضي في طرفيه بابان أحدهما يؤدي إلى غرفة تقع في الركن الغربي الجنوبي والثاني يؤدي إلى ممر خاص بالنساء، كما فتح في الجدار الشرقي لهذا الرواق بابان يؤديان إلى بيت الصلاة، كما تعرضت جدرانه إلى تغييرات كثيرة أفقدتها أصالتها الفنية فهي مكسوة ببلاطات خزفية حديثة وخالية من زخارف جصية وفضلا عن هذه التغييرات الفنية فقد عرف المسجد آنذاك كاتدرائية، حيث فتح الجدار الشرقي ووسع لتشيد في مكانه قبة كبيرة مضلعة، واستحدثت في ركني بيت الصلاة

---

(1) راوية جريدي، الحياة الثقافية في قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة الماستر، 2014 جامعة المسيلة، ص27.

(2) محمد عيسى، الثقافة الإسلامية، مجلة محكمة نصف سنوية تعنى بقضايا الفكر والتراث الإسلامي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد 13 سنة 2015، ص 71.

(3) بن خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة الدكتوراه الدولة في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008، ص76.

بهذه الناحية غرفتان تفصل بين الرواق الذي يقع خلف بيت الصلاة في الجهة الشمالية وهو يوصل إلى بيت الوضوء الذي يقع خلف القبة الكبيرة المستحدثة[1].

وقد اعتبر هذا المسجد حاضرة علمية، باعتباره جمع مجموعة من العلماء الذين تولوا عملية التدريس به كما أنه يحتوي على العديد من المميزات الفنية والجمالية[2].

3- جامع سيدي لخضر:

سمي الجامع بجامع سيدي جامع لخضر نسبة إلى الوالي صالح سيدي لخضر الذي كان قيما على الجامع طوال فترة حياته ودفن خلف الجامع الذي سمي باسمه[3]؛ يقع الجامع الأخضر بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف وهو يطل على شارع سيدي لخضر وقد كان بناؤه في أواخر شهر شعبان 1743م، على يد الباي حسين المدعو بوحنك الذي تولى بايليك قسنطينة بين سنتي 1736-1754م.

يتكون الجامع الأخضر من طابقين؛ الأرضي به مجموعة من الحوانيت المتقابلة يفصلها فراغ في شكل ساباط أقواس يتجه من الشرق إلى الغرب في وسط الشمالي يوجد ساباط يتفرع عنه يتجه عموديا عليه، وهو عبارة عن ممر فتح ضلعه الشرقي باب يؤدي إلى بيت الوضوء، يقابله باب في الجدار الغربي يؤدي إلى السلم الذي يصعد منه إلى الطابق العلوي وفي نهاية الساباط الشمالي يوجد باب يفضي إلى ساحة تقع خلفها قبة ضريحية دفن فيها مؤسس الجامع إلى جانب الباي حسن بن حسن بوحنك 1795م[4].

---

[1] محمد عيسى، الثقافة الإسلامية، المرجع السابق، ص72.

[2] بنخيرة بن بلة، المرجع السابق، ص 76.

[3] نفسه، ص 77.

[4] محمد عيسى، الثقافة الإسلامية،المرجع السابق، ص 74.

جامع سيدي الكتاني: يقع جامع سيدي الكتاني بجوار سوق العصر، وهو يرجع إلى سنة 1190هـ-1776م على حسب ما يظهر في الكتابة التأسيسية، وقد كان دالك على يد صالح باي الذي حكم بايليك بين سنتي(1185 -1207 هـ) (1771 -1792م).

يحتل جامع سيدي الكتاني مساحة مستطيلة الشكل، وهو مكون من طابقين الأول يتم الدخول إليه عبر أربعة أبواباثنان رئيسيان يقع احدهما في الجهة الغربية والثاني في لبجحة الشرقية؛ بينما فتح البابان الآخران في الجدار الشمالي [1].

لقد اشترك في تأسيس هده المساجد الأهالي والعثمانيون على السواء، حيث كان هؤلاء يحتمون ببناء المساجد بدوافع دينية محضة في أغلبالأحيان كما جعلوها لخدمة المذهب الحنفي، بل إن وظيفة المدرس عندهم كانت لاتخرج عن دالك فقد كانت الأوقاف تصرف في أغراض دينية كالقيام بشؤون الجامع والخطبة والإمامةوالآذان؛والأمور التعبدية صرفة كقراءة تنبيه الأنام والمحمدية ودلائل الخيرات والتعريف ونحوها[2].

ثالثا– نماذج لبعض الزوايا:

من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني (الزوايا ونحوها)المخصصة لها، ففي المدن والأريافي الجبال الشاهقة والصحاري عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهمالأذكاروالأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادةوكثيرا ماكانوا يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدينفادا اشتهر احدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة، ويتبرع الناس لهدا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف قصاده ومريدوهويصبح المتصوف (المرابط) علما على المكان ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان[3].

---

[1] نفسه، ص 75.

[2]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، المرجع السابق، ص252.

[3]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830، المرجع السابق، ص252.

فإذا مات "سيدي فلان" يدفن في الزوايا أو في الرباط، ويصير الضريح علامة على الزوايا، وهذه علامة على الضريح، ويرث الأبناء والأحفاد مكانة وعمل وتزداد الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية وتنتشر سمعتها ونفوذهاإلى نواحي أخرى بعيدة.

وفي مدينة قسنطينة ونواحيها العديد من الزوايا قد بلغت حسب الإحصاءات، ستة عشرة زاوية، فهناك زاويا وخلوات زوايا سيدي الكتاني، وسيدي المناطقي[1]، وسيدي عبد المؤمنوسيدي مسيد، وسيدي مخلوف، وسيدي ميمون، وسيدي عفان، وسيدي راشد وسيدي التلمساني كما كانت للعائلات الكبيرة بالمدينة زواياها الخاصة مثل أولاد الفكون وزاوية ابن النعمون،وزاوية أولاد جلول.

حيث كانت هده الزوايا مقصد الطلبة للعلم والراحة والإقامة، كما كانت مقر العلماء الزائرين إذ تحتوي على المبيت وقاعة الاستقبال ومكان الدرس والمكتبة ونحو دالك المرافق كما كانت تضم أيضا الزوايا مدافن الأسرة فحدا الوزان مثلا دفن في زاوية صهره ابن آفانوس، كما عرفت الأرياف أيضا فقح كثرت الزوايا بشكل ملفت للنظر ولم تكن كلها لاطعامالطعام ونشر العلم والإيواء السابلة، بل كانت في معظمها مصيدة لجلب الأنصار وإشاعة الخرافة وإعطاء الورد والاتصال بالشيخ المرابط[2].

ومن أهم ماكان يميز بعض الزوايا والأضرحة كونها ملجأ يلجأ إليه الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم، فقد كان الولاة والهامة يعتقدون في حصانة حمى الزاوية والضريح، ويكفي أن يهرب الجاني إلى الحمى فلا يلحق به أحد؛ ولايمسه سلطان.

وقد وقعت حوادث الفرار إلى زاوية الولي "داداه" وزاوية القليعة والثعالبي وغيرها، سواء من الولاة أنفسهم أو من عامة الناس ولا شك أنذلك كان يدخل في عقيدة الناس في صلاح الأولياء وقدرتهم على تسليط غضبهم على من يهين حماهم.

---

[1] توفي عبد الرحمن المناطقي سنة ولم يذكرهالفكون في من "ادعى العلم والولاية"رغم أنه كتب كتابه في تلك الفترة، ويقال أن المناطقي قد جاء من الغرب إلى قسنطينة وأقام فيها يتعبد في خلوة ويقرأ القرآن؛ وقد بني قائد الدار وهو شيخ المدينة في ذلك الوقت مسجدا باسم المناطقي.

[2] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع الساق، ص 37.

وقد قيل أن صالح باي قد ببني قبة في المكان الذي قتل فيه المرابط " محمد الغراب"بعد أن تحولت جثة هدا إلى غراب مخيف تطير منه الباي، وكان الثوار نواحي قسنطينة لايمسون من يلجأ إلى زاوية وكان محيي الدين مقدم الطريقة القادرية (زاوية القيطنة)يصف زاويته بأنها كمقام إبراهيم الخليل من دخلها كان آمنا[1].

– زاوية سيدي عبد المؤمن:

تقع زاوية عبد المؤمن بشارع ملاح السعيد، وهي تنسب إلى سيدي عبد المؤمن الذي كان يشغل منصب شيخ الإسلام وأمير الركب الحجازي، مند العهد الحفصي وبقي في منصبه مع بداية الحكم العثماني بالجزائر إلى غاية مقتله في 12 محرم 971 هـ/ 4سبتمبر 1561م،أما تاريخ بنائها فهو غير محدد بدقة، حيث توجد كتابة تذكارية تؤرخلتجديدات تعرض لها في سنة 1769م، على يد السيد صالح خوجة بن مصطفى بن محمد ململي يكرجي، وهو صهر إحدى حفيدات سيدي عبد المؤمن [2].

– زاوية ابن النعمون:

تقع بمنهج "ير يقو رقم 76" بناحية الشط وهي معروف اسم الزاوية التيجانية وبها مدافن آل نعمون وهم من بايات المدينة؛ ومنهم محمد شريف بن نعمون، وتقام فيها الصلوات الخمس والدروس العلمية.[3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، المرجع السابق، ص 271.

[2] محمد عيسى، الثقافة الإسلامية، المرجع السابق، ص83.

[3] راوية جريدي، الحياة الثقافية في قسنطينة خلال العهد العثماني،المرجع السابق، ص 35.

– زاوية الشيخ الفكون:

وهي موجودة في حي الخرازين، ولذا تسمى أيضا بزاوية الخرازين ومعروفة بالزاوية التيجانية[1]، كما حدثنا الفكون أن زاويةأسلافه كانت لهم إلى أن بني جد جده مدرسة فترك آل الفكون الزاوية إلى لأصهارهم آل نعمون واستقلوا هم بالمدرسة، وفي هده الزاوية دفن أبو محمد عبد الكريم فكون ويذكر الفكون أن الدين يأتون من العلماء والطلبة الدين يأتون إليه في قسنطينة للقراءة أو للزيارة إلاوذكر أنهم نزلوا عنده في مدرسة العائلة وأحيانا بزاويتها وأحيانا بداره هو[2].

– زاوية حنصالة:

تقع زاوية حنصالة بمدينة قسنطينة، في نهج رواق السعيد رقم الباب ،وقد كانت تعرف باسم زاوية النجارين نسبة إلى سوق النجارين؛ أوزاويةحنصالة نسبة إلى الطريقة الحنصالية[3].

ليس هناك تاريخ صريح لبناء هده الزاوية إلا يمكن القول أنه من المؤكد أنها ترجع إلى الفترة العثمانية، وقد ترجع إلى فترة سابقة لحكم صالح باي، باعتبار أن أقدم ذكر جاء في القائمة المرفقة بجدول أوقافه.

– زاوية بن عبد الرحمان:

تقع بحومة الشارع، بشارع الأخوة عرفة، وهي تنسب إلى الشيخ عبد الرحمان بن احمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي، المتوفي بقسنطينة في سنة 1806م، وقد كان بناؤها مع أوائل القرن 13م/ أواخر القرن 18م.

---

(1) راوية الجريدي:المرجع السابق ، ص 35.

(2)أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص46.

(3)الطريقة الحنصالية فقد أسسها الشيخ يوسف الحنصالي الذي كان من ضواحي قسنطينة واشتهر أمره في عهد البايات المتأخرين حتى كانت داره تعتبر ملجأ لايمسه أحد بسوء؛ حيث يدر أن الحنصاليون يذكرون الله بطريقة فردية بعبارة "أستغفر الله" مائة مرة وكذلك الشهادة مائة مرة.

تتشكل الزاوية من مدخل رئيسي يقع بوسط الجدار الغربي ينفتح على صحن حولهرواق من الجهات الثلاثة[1].

– زاوية التلمساني:

تعد هذه الزاوية في منهج قسطنطين، وبعد الاحتلال استولى عليها الفرنسيين وجعلوها تابعة لفرقة الهندسة العسكرية، ثم أجرت للراهبات وبعد سنة 1880 م استولى عليها اليهود[2].

2– المدارس:

كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية حتى كان لايخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف، بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، وهدا مما جعل جميع الدين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان، وقد عد بعضهم العشرات منهذه المدارس بالإضافةإلى المساجد والزوايا والرباطات؛ كما كانت الأوقاف والصدقات تلعب دورا هاما في انتشار المدارس ونشر التعليم [3].

ولم تكن قسنطينة أقل عناية بالمدارس، فقد كانت مدارسها الابتدائية كثيرة على العهد الحفصيوظلت كذلك في العهد العثماني، ورغم أن تطور إنشاء المدارس لاتؤكده لنا الإحصاءات فإنالذي يدرس كتابا مثل (منشور الهدايا)؛ المؤلف في القرن الحادي عشر؛ يدرك أن حالة المدارس لم تكن سيئة وقد عرفنا الورثلاني قد انتقد تدهور أحوال المدارس بتدهور الأوقاف، مضيفا بأن ولاة قسنطينة لم يشتغلوا ببناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف مما سبب في نظره اندراس العلم [4].

فإن من المعروف تاريخيا والمشهود به أن صالح باي أسس مدرسة "سيدي الأخضر"الملاصقة للمسجد بهذا الاسم، كما شيد مدرسة "سيدي الكتاني"لتعليم مختلف الفنون، وجعل مدرسة الكتاني

---

(1) أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص90.

(2) نفسه، ص36.

(3) أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر،ص 134.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص274.

نظاما خاصا محكما وما تزال هذه المدرسة قائمة إلى وقتنا الحاضر، كما شيد مدارس أخرى في عنابة والقل وجيجل، وكان يلحق بالمدرسة جامعا وكتابا ودار الكتب.

ولم تكن هده هي المدارس فقط في قسنطينة، فقد انتشرت بعد دالك وقد كان عدد من المدارس الابتدائية فيها عند دخول الفرنسيين حوالي تسعين (90)مدرسة وهو العدد الذي جعل الباحثين يحكمون بأنه يدل على أن كل طفل ذكر بين السادسة والعاشرة كان له مكان في المدرسة، أما التعليم في الثانوي والعالي فقد وجد الفرنسيون له في قسنطينة سبع (7)مدارس، وقد كانت قسنطينة من أكثر المدن عناية بالمؤسسات العلمية وذلك لاستقرارها السياسي نسبيا ولقربيتها بتونس.

ولقد كان علماء قسنطينة يوزعون الدراسة إلى فصلين فصل الشتاء وفصل الربيع، ويعزو الورثلاني سبب ذلك إلى قلة المدارس فيها من ناحية وإلى قلة الأوقاف المحبسة على المدارس الموجودة من ناحية أخرى [1].

3- نماذج من المدارس:

أ- مدرسة الجامع الأخضر:

تقع هده المدرسة بجوار الجامع الأخضر في الجهة الشرقية،[2]أسسها صالح باي سنة 1789، وأسس لها نظاما بديعا قال عنه "فايسات" صاحب (تاريخ قسنطينة تحت حكم البايات) وإليك شيئا من شروط هذا الوقف.

- تشمل المدرسة مسجدا وخمسة من البيوت: منها بيت للمدرس والأربعة للطلبة وميضاة وبيت لوضع الأدباش، وللطلبة الدين يجاورون بالمدرسة ثمانية يختص كل اثنين منها بيت.

يقف على المدرسة وكيل مكلف بمداخيلها ومصاريفها وبواب لمباشرة أعمال التنظيف وإبقاء مصابيح بيت الصلاة، كما تعد أجرة المدرس 30 ريالا في السنة وأجرة الوكيل 8ريالات والبواب 7 ريالات ولكل طالب من الطلبة المجاورين 6 ريالات.

---

[1] راوية جريدي، المرجع السابق، ص 54.

[2] محمد عيسى، الثقافة الإسلامية،المرجع السابق، ص80.

وعلى المدرس أن يقرأ ثلاثة مرات في اليوم: الدرس الأول من الصبح إلى الساعة 11 والثاني من الزوال إلى العصر والثالث بين العصر والغروب، وعلى كل طالب أن يتلو 4 أحزاب من القرآن الكريم؛ حزبين بعد صلاة الصبح، وحزبين بعد صلاة العصر، وأثر التلاوة تقرأ الفاتحة ويقع الدعاء على مؤسس المدرسة.

ولايقبل محاورا في المدرسة إلا من كان يحفظ القرآن الكريم ولايشترط فيه أن يكون مالكيا أوحنفيا ولا من المدينة أو البادية،إنما يشترط أن يكون غير متزوج وأن ينام باستمرار في المدرسة ولايسمح له بالخروج إلاللضرورة وللمحاور أيام الراحة بين 20 و30 يوما في السنة، فإن تغيب بعدها بدون عذرأعطي مكانه لطالب آخر يقع انتخابه.

ولقد درس بهذه المدرسة التي أخرجت فحولا من رجال العلم الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي، والشيخ العباسي قاضي المالكية، وقد كانوا كلهم رحمهم الله من رجال العلم والعمل[1].

– مدرسة سيدي الكتاني:

تقع المدرسة بجوار جامع سيدي الكتاني، في عهدصالح باي سنة1775م؛ وملاصقة له من الجهة الشرقية [2]، وتحد سوق العصر من الشمال ويمكن الوصول إلى هذه المدرسة من خلال العديد من الشوارع، أهمها شارع بن شعلال إسماعيل وشارع الأخوة منتوري؛ وقد خصصت هذه المدرسة لمختلف العلوم الدينية والدنيوية وفق نظام تعليمي أقامه صالح باي يتعلق بطريقة الإقامة داخل المدرسة سواء للطلاب أو المدرسين أو القائمين عليها، ولعبت هذه المدرسة دورا بارزا في الإشعاع الفكري والتربوي بالمدينة عبر أجيال متتالية، وقد حولت في الوقت الحديث إلى مدرسة للتعليم الابتدائي، ثم إلى مقر لمصلحة الوقاية التابعة للمجلس الشعبي البلدي لمدينة قسنطينة.

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص135.

[2] محمد عيسى، الثقافة الإسلامية، المرجع السابق، ص80.

وذكر في المدرسة وفي الصحن الرخامي الموجود ضمن مؤلف بالعبارة التالية (...وتتكون من قاعة كبيرة وبعض الحجرات لإيواء الطلبة وفي نهاية الصحن تقوم قبة أنيقة ويحد هذا الحيز درابزين من الرخام وهو المكان الذي خصص لدفن أفراد أسرة صالح باي...)[1].

كما خصص للمدرسة أوقافا كبيرة شملت الأساتذة والطلبة، فقد كان المدرس بها يأخذ ثلاثين ريالا والطالب الداخلي يأخذستة ريالات (وعددهم ثمانية طلاب) وكان لهذه المدرسة التي تنشر تعليما في مستوى الثانوي والعالي، نظام داخلي دقيق يضبط أوقات التدريس والتغيبات وعدد أحزاب القرآن المتلوة كل يوموشروط الإقامة في المدرسة.

وقد أشاد بعضهم بهده المدرسة ونظامها حتى قارنها بمدارس فرنسا العليا المعاصرة لها، وقدر لهذه المدرسة أن تلعب دورا في الحياة الثقافية في الجزائر حتى في العهد الفرنسي، وماتزال قائمة إلى اليوم[2].

أما من ناحية الوصف الذيذكره صالح باي في النظام التعليمي للمدرسة واللوحة الفنية التي وضعها SOURDEVAL عند زيارته للمدينة سنة 1857م، وقد كانت المدرسة حينذاك لاتزال على صورتها الأولى ولم تطرأ عليها تغييرات فان المخطط الحالي للمدرسة لايمثل المخطط الأصلي الذي كانت عليه المدرسة خلال العهد العثماني [3].

– **العلوم المدرسة:** لقد تنوعت العلوم والمعارف التي تدرس فيها إلى ثلاثة أصناف:

- **أولا: العلوم الدينية:** تقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتفسير الحديث وتعليم افقه والتوحيد والمنطق والأصول.
- **ثانيا: علوم اللغة وآدابها:** النحو، الصرف، البلاغة، العروض، قواعد الإنشاء.
- **ثالثا: العلوم الطبيعية والتجريبية:** كالفلك والحساب والطب والصيدلة العشبية [4].

---

[1] بن خيرة بن بلة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة الدكتوراه لدولة الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008، ص 75.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 284.

[3] محمد عيسى، المرجع السابق، ص81.

[4] راوية الجريدي، المرجع السابق، ص40.

– العلوم الدينية: ونقصد بها العلوم الشرعية، وهي الدراسات القرآنية التي والتي كثرت خلال العهد العثماني حيث أن جل النتاج انحصر فيها رغم افتقاره للجدة والإبداع، فقد اعتمدت على التقليد والتكرار، وفقهاء هذه العلوم لم يجتهدوا بل اكتفوا بتقليد من قبلهم.

ومن بين هذه العلوم نذكر:

أ–التفسير:

لقد كان تدريس هدا العلم شائعا بين العلماء إلا أنه هو الآخر تميز بالتقليد فمعظم مفسري القرآن الكريم الدين اشتهروا بدالك كانوا يقلدون أقوال من سبقهم، كما أن ظاهرة التقليد والحفظ كانت مسيطرة على العلماء في جميع الميادين [1]، ومن الأمثلة عن ذلك نذكر عبد القادر الراشدي القسنطيني فقد كان يعقد مجالسة الشورى للتفسير؛ ومن خلال مواقفه كالرسالة التي ألفها في تحريم شرب الدخان يمكن القول أن التفسير عرف بعض التجديد وعدم التقليد بآراء من سبقه من العلماء [2].

ب_ الحديث:

من العلوم التي أنتج فيها الجزائريون علم الحديث ومصطلحه، فقد اعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة ولاشك أن ذلك يعود إلى صلة علم الحديث بالدين والتصوف معا، كما يعود إلى كون علم الحديث يعتمد إلى حد كبير على الحفظ وكان العمل عندهم بالكتب والسنة، يدرسونها ويسندونها ويحفظونها أحيانا، ومن أهمالأماكن التي كان يدرس بها الحديث هي الجوامع الكبيرة احتراما له [3].

ج– القراءات:

لقد اشتهر الجزائريون بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها، وكانت بعض المراكز في أنحاء الجزائر قد عفت بالحذق في هذه المادة، مثل زواوةحتى أنها كانت مقصودة للعلماء للإتقان

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 90.

[2] راوية جريدي، المرجع السابق، ص 41.

[3] أبوالقاسم سعد الله،المرجع السابق، ص 25.

والبراعة؛ فنجد الشيخ محمد بن مزيان التواتي المغربي،الذي ورد على قسنطينة من المغرب، قد تثقف في المغرب في الفقه والنحو ومع ذلك فانه حين جاء إلى قسنطينة وجلس لتدريس بها لم يستغن عن الذهاب إلى زواوة.

4- علوم اللغة:

أ- النحو:

اهتم الجزائريين في علوم اللغة بالنحو خصوصا وتركوا لنا إنتاجا طيبا فيه كما تقدم أبو جميل زيان بن فائد الزواوي القسنطيني فتقدم بالدراسات النحوية من خلال مدرسة زواوة باعتبارها مدرسة هامة لعلم النحو كما روى الورثلانيفي رحلته أن النحو كان يعتني به هناك الكبير والصغير واشتهروا به اشتهارا بينا، وقدحاولالورثلاني أن يردهم إلى دراسة التوحيد وينصحهم بعدم التركيز على النحو، ولكنهم ناقشوه وحاجوه في ذلك، وعرف علماء الجزائر بحفظ متون النحو وبعض الشروح وإدراك مسائلها عن ظهر قلب حتى أصبحوا لايعانون في ذلك[1] رهقا ولا مشقة، ومن بين الدين اشتهروا بالدراسات النحوية، ومن هؤلاء يحي الشاوي وعبد الكريم فكون ومحمد بن راشد الزواوي و عاشور الفكيرينالقسنطيني.

ب- علم البيان والمعاني:

عرف عبد الرحمان الأخضري بأعماله في المنطق والحساب محل درس وتعليق من بعده، فقد نظم الأخضري في علمي البيان والمعاني وشرحه بنفسه شرحا كبيرا فاق فيه (تلخيص المفتاح) لجلال الدين القزويني؛ ولكن الأخضري توفي قبل أن يبيض الشرح، فكان دالك حافزا لعدد من العلماء لاستكمال النقص، ومن هؤلاء أحمد بن المبارك العطار القسنطينيوكذلك عبد الكريم فكون[2].

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص167.

[2] نفسه، ص167.

ج- العلوم الطبيعية والتجريبية:

إذا أردنا التحدث عن هده العلوم من الطب وحساب الفلك خلال العهد العثماني، نلاحظ أن كان يتم دراستها في المدارس ولم تحظى بعناية كبيرة كما أنها لم تخرج عن ظاهرة التقليد فحلت محل الحساب معلومات سطحية عن تعديل وقسمة التركات[1]، وحلت محل الطب والخرافات والشعوذة ومن بين علماء قسنطينة الدين ألفوا في هدا المجال نجد أيضا عبد الرحمان الأخضري، فقد نظم خمسمائة بيت سماها الدرة البيضاء إلى ثلاثة أقسام الأول خاص بالحساب، والثاني بقواعد الفرائض والثالث بالقسمة العلمية للتركات، وقد شرح هدا التأليف بنفسه [2].

5- المكتبات:

لتسهيل عملية المؤسسات السابقة ضمت الجزائر عددا هاما من المكتبات، التي تحتوي على العديد من الكتب التي كانت أماإنتاج محلي عن طريق التأليف أو النسخ، وأوصلت الجزائر من مصر والحجاز والأندلس، فالتمرغوطي يذكر أن مدينة الجزائر في القرن 16، كانت غنية بالكتب الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا، أما حواضر البايليك الغرب اشتهرت بها مكتبات تلمسان ومعسكر ومازونة بما تضمنته من مخطوطات ومؤلفات وقد وصل عدد المكتبات بها 20 مكتبة، منها المكتبة التي أوقفها الباي محمد الكبير على مدرسة المحمدية بمدينة معسكر.

أما في مدينة قسنطينة التي كانت زواياها وبيوت أسرها تعج بالمكتبات التي حوت كتب المشارقة والأندلسيين،إضافةإلى المؤلفات المحلية خاصة في عهد صالح باي الذي وفر الاستقرار وشجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص167.

[2] راوية الجريدي، المرجع السابق، ص 157.

[3] نفسه، ص 63.

وتشهد عبارات الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال أنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب التي وجدوها ومن تنوعها ومن جمالها والعناية بها،فقد اعترف بدال البارون "ديسلان"الذي كتب تقريرا عن المكتبات بقسنطينة عقب احتلالها مباشرة،وكذلك "أدريان بيربروجر"الذي رافق الحملة الفرنسية على قسنطينة وتلمسان ومعسكر، وجميع المخطوطات من هذه المدن.

وقد ذكر أيضا"شارل فيرو" الذي كتب عن المؤسسات الدينية في قسنطينة وعن العائلات الكبيرة بها،إن بعض العائلات كانت تحتفظ بمخازن من المخطوطات في حالة جيدة وأن في هذه المخطوطات نوادر تعتبر فذة في موضوعها، وقد ضرب على ذلك مثلا بمكتبة شيخ الإسلام بقسنطينة (عائلة الفكون) التي قال عنها أنها غنية لا بالكتب الخاصة بالجزائر فقط، بل حتى بالكتب المتعلقة بالبلاد الإسلامية المجاورة؛ وكان يريد بذلك أن يبرهن على وجود الكتب بالجزائر وتذوق الفنون والعلوم من قبل أهلها؛ رغم عدم عناية العثمانيين بالثقافة[1].

وقد كان التأليف من الطرق الهامة لنمو المكتبات فقد كانت حركة التأليف في العهد المدروس؛ حية ونشيطة حيث لانكاد نجد عالما إلا وله قائمة قصيرة أوطويلة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة، وقد تمثل دالك في الشروح والحواشي والتقاييد والتعاليق والرسائل والفهارس، ومن أشهر المؤلفين في هده الفترة، "عبد الرحمان الأخضري، أحمد المقري، عبد الكريم فكون، ابن مريم، أحمد البوني، ابن حمادوش وقدورة.

ومن جهة أخرى نذكر أن صالح بايقد أوقف في قسنطينة عددا من الكتب على (المدرسة الكتانية)التي بناها، ولكنه لم يعرف عنه أن كان يشجع حركة التأليف والنسخكما فعل زميله ومعاصره محمد الكبير[2].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 286.

[2] رشيدة معمري، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات، مذكرة الماجستير، جامعة الجزائر 2005م، ص 62.

ويمكن تقسيم المكتبات في الجزائر إلى عامة وخاصة فالمقصود بالمكتبات العامة هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس، والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا لجميع القراء المسلمين، كما وجدت المكتبات العمومية أو الشعبية أو الوطنية فقد كانت الجوامع، وخصوصا جوامع الخطبة، تحتوي على خزائن الكتب الموقوفة على الطلبة والعلماء، وقد كانت الكتب بهده الخزائن تقل أو تكثر تبعا لأهمية الوقف الذيتتغذى منه وتبعا لأهمية الجامع وأمانة الوكيل وضخامة عدد السكان في المدينة المعينة، ومن أشهر هدا النوع من المكتبات مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة، ومكتبة المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير في معسكر؛[1]ومكتبة أبو راس الناصري التي سحبها عليه أحد بايات وهران وسماها المذاهب الأربعة، كما ذكرالورثلانيفي رحلته أن لوالده خزنة كتب لم توجد عند غيره [2].

أما المكتبات الخاصة فكثيرة فقد اشتهرت العائلات الكبيرة؛ فعائلة الفكون كانت لها مكتبة ضخمة أصبحت مضرب الأمثال بعد الاحتلال الفرنسي، وهي المكتبة المعروفة باسم حمودة الفكون الذي كان موجودا عند دخول الفرنسيين قسنطينة.

إن محتوى المكتبات كان أغلبه لايخرج عن العلوم الدينية، فكثرتها كانت من كتب التفاسير والقراءات والأحاديث النبوية وشروحها وكتب الفقه والأصول والتوحيد كما كانت للعلوم اللغوية والعقلية حظا في هده المكتبات فقد اشتهرت مدارس النحو بزواوة وخنقة سيدي ناجي.

كانت توجد في قسنطينة حوالي سبعة عشرة مكتبة خاصة، ومن أشهرها هي مكتبة الشيخ الفكون ومكتبة تارزي ومكتبة ابن عيسى، وعلى إثر الحملة على قسنطينة جاء المستشرق البارون "ديسلان" وكتب تقريرا على محتوى المخطوطات في مكتبة الشيخ حمودة الفكون في قسنطينة[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص286.

[2] نفسه، ص 294.

[3]رشيدة معمري، المرجع السابق، ص26.

أ- مكتبة الفكون:

اشتهرت مكتبة الفكون بامتلاكها لهده المكتبة نظرا لنفوذها وعراقتها، وتعرف المكتبة باسم حمودة باشا ويذكر السيد "فنايان"أنه بعد خمسين سنة من احتلال قسنطينة وجد كتبها تباع بطريقة ميزان الورق بسبب حاجة بعض أفراد عائلتها؛ وكانت تباع كمية ضخمة من الكتب بثلاثين فرنك.

ومن أهم ماجاء في تقرير المستشرق "ديسلان" عن محتوى المخطوطات في هذه المكتبة نذكر أهمها:

-كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان للشطيبي الأندلسي[1].

-شرح (بانت سعاد)لابن الهاشم.

-الحماسة مع شرح أبي علي.

-المعلقات السبع للتبريزي.

-المستملح من الكملة (حياة المشاهير الأندلسيين تكملة ابن الأبار)

-الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي.

- مقامات الحريري.

- شرح مختصر خليل للخرشي.

- الزهرة النيرة (تاريخ خير الدين)[2].

كما أن"ديسلان" في هذه المكتبة خمسة أسابيع يشتغل للاطلاع على لأهم مخطوطاتها فوجدها تحتوي على أكثر من ألفين وخمسمائة 2500 مجلد في حالة جيدة؛ وأنها تضم كتبا يعتقد أنها ضاعت كما لاحظ أن في المكتبة الكتب موزعة من كتب الفقه والدين على النحو التالية:

- أكثر من خمسين كتابا في الفقه والعقيدة.

-ثلاثون كتابا في التوحيد.

-ثلاثمائة كتابا في الحديث.

---

[1]أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص294.

[2] نفسه، ص295.

-أحد عشر كتابا في مصطلح الحديث.

-مائة وثلاثون كتابا في علم القرآن [1].

-ثلاثمائة كتابا في فقه المذاهب الأربعة.

- أربعون كتابا في التصوف.

أما الكتب التاريخية والأدبية والعلمية فنذكر بعض العناوين منها:

- تاريخ الدولة العثمانية.

- وفيات الأعين لابن خلكان.

- نفح الطيب للمقري.

- رحلة العبدري.

- سراج الملوكي للطرطوشي.

-الطبقات للذهبي.

- التاريخ القسي.

- سلافة العصر.

- حياة أحمد بن عروس.

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.

- فاكهة الخلفاء.

- ديوان ابن خفاجة[2].

ب- مكتبة باش تارزي:

تحدث "ديسلان" على أن هده المكتبة أقل أهمية من مكتبة الفكون ولكنها كانت تضم أكثر من خمسمائة مخطوط؛ أغلبها في الفقه والدين،وذكر أنه وجد كتابين نادرين هما "معارف ابن قتيبة وشرح

[1] رشيدة معمري، المرجع السابق، ص 27.

[2] نفسه، ص28.

ابن نباتة على ابن زيدون وقال أنه في قسنطينة مكتبتين أخريين خاصتين ولكنه لم يسمهما وأنهما أيضا تحتويان على الكتب الدينية في الغالب أما في البادية فقد أخبروه أن المكتبات تحتوي على أكثر من خمسمائة كتاب أغلبها كتب دينية.

رابعا– من أبرز العلماء في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

اهتمت الجزائر في العهد العثماني بفئة العلماء لما كان لها من قيمة في الدين والسياسة وشؤون الحياة العامة ,انشغلت هده الفئة بتحصيل العلم الشرعي، وغالبا ما كانت تبتعد عن تعاطي أمور السياسية[1]، وكما اشتهرت قسنطينة ونواحيها بهده الحياة العلمية التي مثلها رجال اشتهروا بالوظائف والتدريس والتأليف سواء في القرن العاشر أو الحادي عشر؛ اشتهرت أيضا بعدد من العلماء الزائرين والطلبة الراغبين في تحصيل العلم فيها، وبالرغم من عدم ازدهار الحياة العلمية وأن العلماء كانوا يكتفون بالقليل من العلم لتولي المناصب[2] الشرعية، فإذا عدنا إلى القرن السادس عشر ميلادي؛ وجدنا الشرق الجزائري قد عرف شخصيات علمية متميزة من بينها عمر الوزان ويحي الفكون بمدينة قسنطينة وعبد الرحمان الأخضري من الزيبان.

وقد أخرج هؤلاء الرجال مجموعة من التلاميذ البارزين منهم من قاد العلم فينا يأتي من الأيام ومنهم من جمع بين العلم والتصوف، بل منهم من تزعم ثورات هددت النظام العثماني في قسنطينة[3]،فلهذا لايمكن تحميل العثمانيون مسؤولية ظهور التصوف ولاتدهور الثقافة بالجزائر لكن سياستهم أعادت على الانحطاط، فهم لم يكونوا حاملي مشروع ثقافي ولم يشكلوا في نفس الوقت عائقا في وجه استمرار الحياة الثقافية، بل كان بعض الحكام يحترمون العلماء ويوقفون الأوقاف لصالح العلم وبمؤسساته فالعلوم الابتدائية من حفظ القرآن والكتابة ولهذا قال بعض الفرنسيين بأن الأمية تكون منعدمة في الجزائر فكل الناس تقريبا يعرفون القراءة رغم عدم عناية العثمانيين بالثقافة كعنايتهم بالحرب.

---

[1] رشيدة معمري، المرجع السابق، ص 27.

[2] نفسه، ص 27.

[3] نفسه، ص 28.

اشتهرت قسنطينة بالعديد من الحواضر الثقافية كانت مركز إشعاع ديني وثقافي؛ كمدينة قسنطينة التي يقول عنها:Garffalel "أن قسنطينة كانت على عهد الأتراك عاصمة دينيةوكان العلماء بها يتمتعون بالسيادة المطلقة والنفوذ التام، كما كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة ينهلون العلم من خمسة عشر مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية ..إن قسنطينة كانت مبعث نور الجزائر، كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم".

وكما رأينا الدور البالغ الأهمية للعلماء الدين أنجبتهم هده المدينة والذي يأتي على رأسهم علامة قسنطينةالكبير لأحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفد القسنطيني:(740-810هـ)"صاحب التأليف الزاخرة التي تربو على السبعة والعشرين مؤلفا؛ فجل مؤلفات هدا العلامة كانت لخدمة الدولة الحفصية بمظهرها الحضاريينالتاريخي والفكري [1].

1- عبد اللطيف المسبح القسنطيني:

مفتى الحضرة القسنطينة ومن أكبر علماء الرياضيات والحساب والمنطق ومن أشهر مؤلفاته مختصر عبد الرحمان الأخضري وشرح الدرة البيضاء.

2-أبو محمد بركات القسنطيني:

من أكبر العلماء والمدرسيين بقسنطينة [2].

3-عبد الكريم الفكون:

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحي الفكون، وسمي على جده لأنه ولد على إثر وفاته؛ وهو ينتمي إلى عائلة الفكون ذكر لأنها شريفة حسنية من عائلة محمد بن قاسم الشريف؛ تعتبر عائلة الفكون من العائلات العلمية التي كانت موجودة في قسنطينة إلى جانب عائلة

---

[1] الحاج أحمد بن المبارك بن العطار،المصدر السابق، ص 45.

[2] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 62.

ابن باديس كما كانت لها امتيازات اقتصادية؛بالإضافة كذلك إلى النشاط الذي تقوم به بالجامع الكبير الذي كان موجود بالبطحاء في مدينة قسنطينة من إمامة وخطبة؛ تعلم الشيخ عبد الكريم على والده في زاوية العائلة وتربى على الثروة والجاه [1].

كما عرفه العلامة الشيخ محمد بن محمد مخلوف بقوله الإمام العلامة العمدة القدوة الفهامة الجامع بين علمي الظاهر والباطن؛ ويقول عنه المقريعالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الأكابر ووارث المجد كابر عن كابر المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون؛ لقد خلف لنا الفكون مجموعة من الكتب التي كان يطلق عليها اسم تقاييد أو رسائل وكما أن هذه التآليف ألفها قبل توليه وظائف أبيه؛ وكانت مواضيعها متنوعة منها الاجتماعي ككتابه منشور الهداية والنحوي واللغوي كفتح اللطيف [2]، وكذلك كانت له مجموعة من القصائد ومن أشهر مؤلفاته:

أ- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية .

ب- محدد السنان في نحو اخوان الدخان .

ج- ديوان الشعر في مديح النبوي، انتهى منه سنة 1031.

- شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض.

- فتح اللطيف في شرح لأرجوزة الكودي في التصريف.

-شرح على شواهد الشريف بن يعلى علي الجرومية.

4- الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار:

هو أحمد بن عمر بن أحمد بن العطار عرفة بكنية القسنطيني بسبب أصوله غير القسنطينية، كما عرف عادة باسم الشيخ الحاج أحمد بن المبارك معظم حياته بقسنطينة التيولد فيها عام 1790م تلقى

[1] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص 48.

[2] نفسه، ص145.

مبادئ العربية في ميلة في زاوية أسرته المعروفة بعائلة ابن العطار المنتمية في أصولها إلى تلك الناحية، ثم عاد وهو في سن الصبا إلى مسقط رأسه قسنطينة واستقر بها إلى أن وافته المنية عام 1870م.

شرع أحمد بن العطار بقسنطينة في مزاولة التعلم بمساجدها[1] على يد أعلام قسنطينة من أمثال الشيخ العلامة أبو راشد عمار الراشدي المعروف بالغربي والذي كان أديبا له الباع الطويل كما يقول الحفناوي في المعقول والمنقول وشاعرا مجيدا ولي الفتوى المالكية والخطابة بسيدي على بن مخلوف والتدريس بمدرسة الكتاني ثم جامع القصبة كما تتلمذ على يد الشيخ أبو منصور عمار الشريف القسنطيني كما تلقى التعليم على يد الشيخ العلامة أبي عبد الله محمد العرب بن عيسى القسنطيني الذي كان من جلة العلماء.

كما كان للعطار حظ في تلقي الشيوخ أحمد بن سعيد العباسي الذي كان آية زمنه حفظا واتقانا وبيانا في علم البلاغة والبيان؛ ومن أبرز مؤلفاته:

أ- حاشية على الشيخ إبراهيم الشبر خيتي شارح المختصر[2].

ب- تاريخ بلد قسنطينة.

ج- الجوهر المكنون في الثلاثة فنون.

د- سلم الوصول في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم.

هـ- نصيحة الإخوان في أصول التربية وآداب السلوك.

خلاصة الفصل:

لقد عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني نظاما إداريا تمثل في سيطرة العناصر المحلية على الوظائف الإدارية، حيث ارتبط نظام الحكم في المدينة بهيئة من الموظفين يشرفون عليه ويؤثرون على مختلف أجهزته ومصالحه، وذلك تماشيا مع تقسيم السلطات الممنوحة لهؤلاء الموظفين والمكانة التي كانوا يحتلونها في هرم السلطة الإدارية، في حين أن الوظائف الإدارية في الأرياف استندت فيه إلى الأعراش

[1] الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص63.

[2] نفسه، ص63.

والقبائل المخزنية التي كانت تنفذ أوامر الأتراك ثم أصبحت وسطية، وعرف المجتمع القسنطيني العديد من الفئات والشرائح الاجتماعية، منهم العرب والأتراك، والكراغلة والتي ساهمت في تغير الواقع الاجتماعي.

بحيث كان لكل عنصر من هذه الفئات إسهاماته الخاصة في مختلف المجلات، لقد تجلت مظاهر الحياة الثقافية بقسنطينة من خلال المؤسسات التعليمية الدينية المتواجدة بالمدينة بمختلف أنواعها من مساجد وزوايا ومدارس ومكتبات عامة وخاصة، والتي كان له دورا كبيرا في تثقيف وتعليم مختلف شرائح المجتمع وذلك من خلال الدور الهام الذي لعبه المدرسين والعلماء في تقديم الدروس لتلاميذ والطلبة.

الفصل الثالث: الأحوال الاقتصادية في مدينة قسنطينة.

المبحث الأول: الزراعة أهم المنتوجات الفلاحية.

المبحث الثاني: التجارة في قسنطينة.

المبحث الثالث: الصناعة وأهم الحرف.

المبحث الأول: الزراعة أهم المنتوجات الفلاحية:

لقد كانت قسنطينة حسبما ورد عن أهاليها، مركزا تجاريا هاما في السابق ،وذلك يعود لأهمية موقعها بين مدينة الجزائر وعنابة فقد كانت تستقبل كثيرا من الأخشاب والمحاصيل الزراعية والمنتجات الأخرى[1].

فقد عاشت المدينة حركة اقتصادية هامة في العهد العثماني واستطاعت بحيويتها أن تفرض استقطابا على الأرياف المجاورة، بعد نزوح سكانها بحثا عن فرص العمل والاستقرار، وكان نفوذها التجاري يمتد حتى تونس وليبيا اللتان تستوردان منها الملابس المطرزة والأقمشة الحريرية والتوابل وتصدران لها الجلود والشموع والحبوب واللحوم، كما كانت لها اتفاقيات تجارية مع اسبانيا وجنوب مرسيليا،وقد غلب الطابع الفلاحي على نشاط السكان القسنطينيين مقارنة بما يمارسونه من صناعة، فكانت بذلك الزراعة هي المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية السكان، وأصبحت تربية المواشي حرفة مكملة لزراعة أراضي العرش الجماعية[2].

وعلى غرار السياسة الإدارية فقد انتهج الحكام العثمانيون تجاه السكان سياسة اقتصادية مرنة ضمنت لهم ازدهار الإقليم البايلك وذالك دون أي جهد يذكر من السلطة المركزية، لم يتدخل الحكام العثمانيون في أي شأن من الشؤون الاقتصادية للبايلك سواء بالنسبة لتوزيع الأراضي أو النظام الضريبي أو التجارة الداخلية، حيث تم تقسيم الأراضي على الشكل الآتي:

أولا– الاقطاعات المحلية:

وتضم أراضي العرش وأراضي الملك فأما أراضي العرش فهي الأراضي المشاعة بين أفراد القبيلة ولا يحق للمستفيد منها بيعها ولا هبتها، إذ تعتبر ملكا جماعيا للقبيلة ويشرف على توزيعها بين أسر القبيلة للاستفادة شيخ القبيلة الذي لم يكن له الحق في انتزاع الأرض من أصحابها إلا في حالة وفاة صاحبها دون ترك من يخدمها من الأبناء الذكور أو هجرته للقبيلة مع أسرته، في هده الحالة يعاد توزيع قطعة أرضه على غيره من أبناء نفس القبيلة[3].

---

[1] فدلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، تحقيق وتقديم أبو العيد دودون وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 87.

[2] سعادي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2005، ص 33.

[3] جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايليك الشرق الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص172.

ثانيا– الأحباس وأملاك الدولة:

وتشرف على تسييرها المصالح الإدارية بمساعدة قبائل المخزن، وفي بعض الأحيان تعطي هذه الأراضي لأفراد أو قبائل تستغلها مقابل أجر يتفق عليه، وإذا كانت هذه الأراضي خالية من السكان ولاينتفع بها فهي موات من أحياها فهي له وإن كانت قريبة من العمران يحتاج العمل فيها إلىإذن الحاكم بخلاف البعيدة عن العمران[1].

ثالثا– الاقطاعات الدينية:

وتتمثل في الأراضي التي تجمع تدريجيا في يد الأسر الشريفة والمرابطية أو الأسر التي نالت مكانة علمية ودينية عالية بالبايليكو ذالك نتيجة الامتيازات المختلفة التي كان الحكام العثمانيون يتقربون بها من هذه الأسر وعلى وجه الخصوص امتياز حق الأشراف على أراضي الوقف التي كانت تتحول تدريجيا إلى أملاك خاصة تستغلها الأسرة لفائدتها،إلى جانب ما كان يمنح لها من اقطاعات من طرف الحكام مقابل الخدمات السياسية أو العسكرية كانت تقدمها لهم الأسرة عند الحاجة وهو ما جعلها تتحول، حسب تعبير الباحث أندري نوشي إلى أسر ذات سيادة فعلية في البلاد[2]، وعلى الرغم من أن السلطات المحلية لم تكن تعتني عناية كبرى بالشؤون الزراعية فان منتوجات الايالة كانت تزيد من حاجات السكان[3].

كما عرفت مدينة قسنطينة في عهد صالح باي تنظيمات اقتصادية وإدارية ساعدت على ازدهار البايليك وجعلت من قسنطينة من حيث النشاط التجاري والصناعي قطب اقتصادي مهم، فقد عمل الباي جاهداً على تحسين أوضاع الزراعة وتنمية الإنتاج الفلاحي وإدخال منتجات جديدة واستحداث نظام الري الدائم المعتمد على تشغيل النواعير بالحامة قرب قسنطينة، كما استصلح سهول عين مليلةالزمول، في الوقت الذي اهتم فيه بتطوير المواصلات ومراجعة نظام الضرائبفأخضعت جميع الأراضي إلى الضريبة الجبري،وهي 25 صاع من الحبوب و10 شبكات تبن[4].

---

[1] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 52.

[2] جميلة معاشي، المرجع السابق، ص178.

[3] محمد الزبيري، نفسه، ص 53.

[4] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص 248.

وتمثلت الضرائب الشرعية في الزكاة والعشور وتفرض الأولى على الماشية والثانية على الزرع وكانت ضريبة العشر تساوي 1\10 من الإنتاج، تفرض على جميع الأراضي التابعة لمراقبة البايليك سواء كانت أرض العرش أو ملك، تساوي صاع من القمح وآخر من الشعير ومقدار من التبن 13.25 بوجو،إلا أن هذا المقدار لم يكن ثبتا في كل الأراضي وكل الفترات بل حسب ما تمليه طبيعة العلاقة التي تربط أصحاب الأرض بالسلطة الحاكمة وحسب خصوبة الأرض [1].

كما عرفت مدينة قسنطينة أحداث أليمة والتي تطرق إليها العنتري فقد تحدث عن الأحوال الزراعية والاقتصادية من خلال كتابه مجاعات قسنطينة والأزمات التي شهدتها قسنطينة قبل عهد صالح باي في أواخر القرن 17م، والتي كانت بسبب ارتفاع أسعار القمح امتدت الأزمة الحادة من سنة 1804إلى سنة 1808مإلى أواخر العهدالعثماني في الجزائروقد ذكر العنتري أن هذه الأزمة مهدت لها ثورة ابن الأحرش التي اندلعت في وادي الزهور من الأعمال التابعة للقسنطينة سنة 1803م، ثم عقبتها أزمة القحط والمجاعة الشديدة التي أصابت الناس، وقد تسببت الأزمة في الآفات والمشاكل الآتية:

- نزول الجوائح واستفحال القحط الذي استمر سنتين متواليين.

- تكاثر الفتن، واشتداد الأهوال التي حالت بين المزارعين والأرض ،وقد نتج عن هذه الأزمة قلة الحبوب في الأسواق وارتفاع الأسعار ارتفاعا فاحشا حتى بيع الصاع الواحد من البُر بخمسة عشرة ريالا من السكة في ذالك الوقت، وبيع الصاع من الشعير بسبعة ريالات، ثم خفت الوطأة بعض الشيء سنة 1805م، ولكن الأسعار لم تعد إلى مستواها الطبيعي إلا بحلول سنة 1808م، كما أن قيمة الحبوب قد ارتفعت أثناء هذه الأزمة ارتفاعًا فاحشًا لقلة العرض والطلب على الحبوب ثم أخذت تنخفض شيئا فشيئا حتى عادت إلى مستواها الطبيعي سنة 1808م [2].

(1)جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 190.

(2)صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص 17.

فقد لاحظ العنتري أن أسعار باقي الثمار والغلال قد استمرت على رخصها كما لاحظ أن العناية بالفلاحة في العصر التركي كانت ضعيفة جدا ولم يكن هناك رصيد كاف من الحبوب لمجابهة الأحداث الطارئة، كما تحدث عن واقعة المجاعة التي شهدتها منطقة قسنطينةبين سنتين 1804م-1805م حيث وقعت مجاعة شديدة وقحط وهول أضر بأهل بلد قسنطينة ووطنها ودام الحال عليهم مدة ثلاث سنين متوالية، وكان آنذاك في عهد عثمان باي.

حيث أصابت الجائحة الزرع فأفسدته وأعدمت حصاده في جهات كثيرة لا سيما ناحية القبلة جهة أعراشها الحراكتة، والنمامشة،وأولاد يحي بن طالب، والخرارب وغيرهم ولم تنجو من ذلك إلا المناطق الساحلية لم يقع فيها الضرر الكبير.

وكانت ثورة بن الأحرش التي بدأت اضطراباتها سنة 1803م،التي تزعمها محمد بن عبد الله الشريف الذي ادعى الشرف وأن دعوته مستجابة حيث توجه هذا الآخر إلمدينة قسنطينة قاصدا الاستيلاء عليها في الفترة التي كانفيها الباي عثمان غائبا وما إن بلغ خبر الواقعة باشا الجزائر حتى أصدر أذنا للباي عثمان يأمره فيه بتجهيز محلة قوية ويتوجه بها على الفور لمواجهة الشريف لكن الباي لقي حتفه نتيجة مكيدة دبرها له الشريف في سنة 1804م وتلفت خزائنه وكل مااحتوت عليه محلته من مال وهذه الواقعة مشهورة بواد الزهور وهي من أحد الأسباب التي نشأت عنها المجاعة وقلة الحبوب بسبب كثرة الاضطرابات نتيجة مصرع الباي وتشتت أهل محلته وقد نهبت الأعراش بعضها البعض وكانت النتيجة انعدمت الحراثة والمؤنفي تلك السنة بحيث نفدت الحبوب في كامل الإقليم [1]، فحصلت للناس شدة ومجاعة كادت أن تقضي على غالبية منهم وقد أشرف الضعفاء على الهلاك خصوصا في بعض نواحي الجنوبيةفقد تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم من الشر والمصائب التي حلت بهم بانعدام الحرث ونزول القحط والفتن حتى صاروا يقتاتون على الجيف والميتةبسبب ارتفاع أسعار الحبوب إلى ما لانهاية [2].

(1)صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 17.

(2) نفسه، ص 18.

وقد كانت قيمة الزرع قبل تلك المجاعة والقحط مابين ريال وريال ونصف للصاع الواحد ، بحيث أنك لاتجد في ذلك الزمان ولا في الذي قبله من يهتم بأمر الزرع أبدا لبخس ورخص قيمته[1].

ومن أهم المتوجات الزراعية في الشرق الجزائري نجد القمح الصلب [2]والأشجار المثمرة كالزيتون، وقد تميزت زراعة الحبوب بالبساطة كما اعتمد السكان على الوسائل الفلاحية البسيطة كالمحراث الخشبي ، وعدم استعمال نظام الدورة الزراعية، ولا نظام تقليب الأرض وتهيئتها للحرث في الموسم القادم، وكذا عدم استخدام الأسمدة [3].

كما عرفت أيضا زراعة المساحات الشاسعة من التبغ الذي يعتبر من أرقى الأنواع في العالم ويصدر إلى تونس وغيرها من البلدان المجاورة، وفي الأرياف تغرس نفس الكروم و أشجار الزيتون وما إلى ذلك من الأشجار المثمرة كما تزرع الخضروات المختلفة وكل ما يحتاج إليه[4]، وإلى جانب هذه المزروعات فقد كانت الثروة الحيوانية خلال القرن 18م كبيرة في عدد رؤوس الماشية التي يقال بأنها تجاوزت عدد سكان البايلك[5].

كما ذكر العنتري من خلال مخطوطه بأن البقرة كانت تباع بريالين، وصاع من القمح بريال ونصف، وبديهي أن ضآلة الفارق بين السعرين دليل قاطع على أن عدد الأبقار كان كثير جداً، خاصة وأننا نشهد اليوم أن سعر البقرة الواحدة يساوي أكثر من عشرين مرة ثمن القنطار الواحد من القمح كما أننا نستطيع الاعتماد على الإحصاءات التي قامت بها الإدارة الفرنسية بعد ثلاثين سنة من الحروب المدمرة بأن عدد البقر لايقل عن مليون رأس،وعدد الأغنام يزيد عن ثمانية ملايين [6].

(1)صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 18.

(2)محمد العربي الزبيري، التجارة في الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 53.

(3)رياض بوالحبال، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010 م، ص 54.

(4)محمد العربيالزبيري،نفسه، ص 54.

(5)راوية الجريدي، المرجع السابق، ص 14.

(6)العربي الزبيري،نفسه، ص 54.

المبحث الثاني: التجارة في مدينة قسنطينة:

كانت مدينة قسنطينة منذ القدم مدينة تجارية ومسلكا مهما من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وقد ظلت هذه الحيوية التجارية إلى فترة العهد العثماني ،باعتبار أن مدينة قسنطينة تقع بجانب إقليمين متكاملين وهما الصحراء والتلجعلها نقطة مرور القوافل التجارية، والتقاء المسالك وبالتالي منطقة هامة لتوافد التجار الأجانب، وهذا ما أكسبها حركة تجارية متنوعة وقد ذكر حسن الوزان في رحلته "....أن أسواق المدينة عديدة حسنة التسويق، بحيث أن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض،والقسنطينيون شجعان مقاتلون، خصوصا منهم الصناع، وفيها عدد كبير من التجار الدين يتعاطون الأقمشة الصوفية المصنوعة محليا، وبعضهم يشتغلون في تجارة الزيت والحرير ...."[1].

ونتيجة للأموال التي تجمعت بين يدي البايات تحول هؤلاء إلى تجار كبار فكانوا يمارسون التجارة الداخلية والخارجية لحسابهم الخاص وكانوا ينافسون في ذلك كبار التجار المحليين وعلى رأسهم شيخ الأسر المحلية الحاكمة وأن كان اهتمام البايات بالتجارة الخارجية أكبر من التجارة الداخلية لأن ذلك يدر عليهم أرباحا أكبر [2].

كما هو الشأن في جميع البلدان انقسمت التجارة إلى نوعان تجارة داخلية وتجارة خارجية.

أولا– التجارة الداخلية:

أطلق البايات حرية التجارة الداخلية لشيوخ القبائل والأسر المحلية الحاكمة، بل اعتمدوا عليهم أساسا للأشراف على الأسواق العامة، والتظاهرات الاقتصادية السنوية فقد كان شيخ العرب يشرف شخصيا على أكبر تظاهرة اقتصادية بالبايليك وهي المعرض السنوي الذي كان يقام بوادي العثمانية، غرب مدينة قسنطينة ولم يكن البايات يتدخلون في ذلك إلا بما يضمن أمن السوق وسلامة التجار به وذلك بتجنيد قبائل مخزنية تكلف بحفظ الأمن في الأسواق [3].

(1)بن عمراني يوسف، المدينة والريف في الجزائر خلال العهد العثماني،مذكرة ماستر، 2019م، المسيلة، ص33.

(2)محمد العربي الزبيري، التجارة في الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 59.

(3)جميلة معاشي،أسر المحلية الحاكمة في الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 199.

وكانت الأسواق تتناول كل مايحتاج إليه السكان من المنتجات والمصنوعات المحلية كانت أو مستوردة، والتجار الذين يقومون بها في المدن ينظّمون في هيئات يشرف على كل واحدة أمين يقوم بجمع الرسوم المفروضة على كل واحد ويسلمها للمصالح الإدارية،أما الأسواق والمعارض، فإن التاجر يدفع الرسم قبل الدخول إليها.

وقد كانت المقايضة هي أفضل طريقة يستعملها السكان في هذه التجارة، لأن النقود لم تكن منتشرة بكثرة ولأن المستهلك يفضل الحصول على ما يحتاج إليه مباشرة دون المرور بعملية التحويل المعقدة،التي لاتوفر الضمانات الكافية للأطراف المتبادلة [1].

تعد الأسواق الأسبوعية والتي كانت تعقد في مختلف أنحاء المدينة وكانت تعرض فيها في الغالب منتجات الأرياف مثل الحبوب،الأقمشة،الأواني الفخارية، وهناك الأسواق السنوية التي يتم فيها تبادل منتجات الصحراء المتمثلة في التمور والماشية والصوف وريش النعام بمنتوجات التل المتمثلة في الحبوب والزيتون والتين.

كما تعد الأسواق السنوية الأخرى التي يتم فيها تبادل منتوجات المناطق الجبلية بمنتجات المناطق السهلية كما هو حال كثير من سكان بني العباس وبوسعادة الذين كانوا يبيعون زيتهم مقايضة بالصوف في مدينة قسنطينة التي كانت تضم حوالي 28 سوق وسويقة، يتجمع فيها صنّاع النسيج وهناك ثلاثة رحبات لعرض السلع، وثلاثة أفران لطهي الخبزوخمسة مطاحن للحبوب،إلى جانب المحلات التجارية التي تحيط بسوق الجمعة [2].

ثانيا– التجارة الخارجية:

أما التجارة الخارجية فتتم مع أوروبا عن طريق الموانئ، بواسطة الأجانب وعدد قليل من الجزائريين، ومع إفريقيا عن طريق القوافل بواسطة الأهالي وحدهم ويساعدهم من حين إلى آخر جماعة من اليهود كما كانت التجارة الخارجية تعتمد على المواصلات وهي عماد التجارة ومن بين أهم أنواعها نذكر الآتي:

(1)جميلة معاشي،أسر المحلية الحاكمة في الشرق الجزائري، المرجع السابق،ص199.

(2)محمد العربي الزبيري، التجارة في الشرق الجزائري، المرجع السابق ص 60.

1- البحرية والنهرية:

لم تكن الأودية في الإيالة صالحة لملاحة ماعدا وادي بجاية في الشرق [1]،فقد كانت الشركة الفرنسية بالقالة أو مايسمى بالباستيون الفرنسي [2]؛ مصدر ربح كبير للتجار الجزائريين بباياليك قسنطينة وخاصة القبائل القريبة منه وعلى رأسها أحرار الحنانشة الذين كان زعيمهم بوعزيز يتعامل شخصيا مع الشركة ويجني من ورائها أرباحا طائلة وخاصة وأن الشركة امتيازها الرسمي متمثلفي صيد المرجان إضافة إلى استيراد الحبوب والجلود والشمع من القبائل لتقوم بتصديرها على حسابها إلى أوروبا [3].

أما الموانئ فممتازة ومنتشرة على شاطئ طوله حوالي 340 ميلاً مقابل لسواحل إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، وأهم هذه الموانئ في الشرق هي:

أ- القالة:

وكانت في حوزة الشركة الملكية الإفريقية تصدر منها الحبوب إلى مرسيليا، تعتبر ثاني مؤسسة فرنسية على الساحل الإفريقي مرساها واسع وتتوفر فيه جميع شروط الملاحة.

ب- الموصلات البرية:

كانت الطرق في الإيالة تختلف كل الاختلاف عن مثيلاتها في القارة الأوروبية وهي تنقسم إلى سلطانية وجهوية، والسلطانية هي الطرق التجارية الكبرى والتي تربط البلاد بكل من تونس والمغرب.

---

(1)سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة، المرجع السابق، ص 47.

(2)جميلة معاشي، أسر المحلية الحاكمة في الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 197،

الباستيون ومعناه الحصن، يقع على بعد 3 أميال (12 كلم) غرب القالة، وقد وصفه الرحالة الانجليزي شو بقوله هو بيت جميل تحيط به حدائق بها 300 صياد للمرجان وكدالك فرقة مشاة وعّدة مدافع وساحة للسلاح.

(3)جميلة معاشي، أسر المحلية الحاكمة في الشرق الجزائري، نفسه، ص 197.

أما عن وسائل النقل، فهي تختلف من مكان لآخر ففي التل يستعمل التجار الجمال والبغال للسلع والخيل للأشخاص، وفي الصحراء يستعملون الجمال والحمير، وهناك طريقتان مشهورتان للقيام بعملية النقل هذه، أولهما هي القافلة التي تضم مجموعات متعددة من التجار الذين لاتربط بينهم سوى مصلحة الطريق، والتي لابد لها من دليل أو أكثر للبلوغ إلى غايتها، وثانيتهما هي النجع أو القبيلة السيارة التي تنقل بكاملها ولذلك فهي أبطأ من الأولى ولكنها أضمن بالنسبة للتجار [1].

تميزت التجارة الخارجية باعتمادها على البيع والشراء، أي على التصدير والتوريد، تعتبر المواد المصدرة في إطار النوع الأول من التجارة الخارجية فتتمثل في المرجان والحبوب وخاصة القمح والشعير وفول الحمص، و الصوف،والجلود والشموع وزيت الزيتون فقد كانت مقاطعة قسنطينة مخزناً هاما ومركزا استراتجيا للتموين بالنسبة لجنوب أوروبا.

أما بالنسبة إلى الاستيراد فقد كانت تستورد من الدول الأوروبية الأقمشة الحريرية والقطنية، والخردوات ومايسمى بمنتوجات المستعمرات (السكر والقهوة والتوابل)،ويقوم بعملية الاستيراد هذه جماعة من اليهود والجزائريين لهم ممثلون ومؤسسات ويتمتعون عادة بحماية البايات فلا يخشى اصطحاب القوافل إلى قسنطينة وغيرها من الأسواق [2].

كما يتم في البايليك عملية جمع الضرائب المحلية حيث يكّلف الباي بتسلم الضرائب وحمل نصيب منها إلى الجزائر كل ستة 06 أشهر، حيث يكلف خليفة من طرف داي الجزائر بذلك وتكون العملية مصحوبة بقوة عسكريةالمحلة لاستخلاص الضرائب من بايليك قسنطينة، وتتشكل هذه المحلة من 60 خيمة وتتألف الخيمة الواحدة من 25 رجلا وعندما تلتقي هذه القوة العسكرية بالباي عند قصرالطير، تلتحق به 40 خيمة بينما 20 خيمة الأخرى يجوب بها الخليفة ساحل البابور وبني لبا وبني صالح.

(1)محمد العربي الزبيري،النجارة الخارجية في الشرق الجزائري، المرجع السابق، ص 77.

(2)نفسه، ص 77.

أما الباي أحمد فيتوجه بماله من القوة العسكرية إلى أولاد الساحلية بمنطقة بوطالب،وأولاد سلطان، والحراكة، والحنانشة ليعود بعد ذلك من الحلة إلى قسنطينة.

ثم يتوجه الخليفة إلى الجزائر بعد أن يمكث في قسنطينة مدة شهرين أوثلاثة أشهر لتقديم مستخلصات الضرائب الدنوش الصغرى تحرسه في طريقه قوة عسكرية مكونة من عشرة خيام يأخذها من الحامية التركية المعسكرة بالقصبة ثمما يلبث أن يعود بعد ذلك إلى الجزائر مصحوبا بستين خيمة لاستخلاص الضرائب مرة أخرى [1].

أما القوة التركية التي بقيت فيتكفل الباي بتوفير وسائل النقل لها وإمداد ما تحتاجه من رعاية وتغذية كما يقدم لها أجرة شهرية تقدر بريالين80ألف، أما القيمة الإجمالية لما يستوجب على البايليك من مستلزمات الضرائب اتجاه داي الجزائر والتي تقدم مرتين في السنة فكانت تقدر بقيمة 340,000ريال مع العلم أن الريال الواحد يقدر ب 0,93 فرنك.

بالإضافة إلى هذا المبلغ كان من المغارم، كان الباي يقدم إلى داي الجزائر مايلي من العوائد:

- 600 خروف.
- 17فرس أصيل ، تكون من نصيب الداي وكبار الموظفين بالجزائر.
- 100 بغل منها 40 من النوع الممتاز، بينما 60 الباقية من النوع المستخدم للنقل.
- 70 برنوسا من النوع التونسي [2].
- 32 سبحة من العنبر والمرجان.
- 14 أوقية من العطور.
- من 8 إلى 10 قطعة من جلود الأسود والنمور.
- 20 حمولة من الزبدة.
- 20 حمولة من الكسكس.
- سلة من الزيتون الأخضر.

(1)سعودي يمينة،الحياة الأدبية في قسنطينة، المرجع السابق، ص 47.

(2)نفسه، ص47.

كل هذه الهدايا على البايلك تقديمها، يضاف إليها مساهمة تقدر ب1400قسيمة من القمح و7000 صاع من الشعير، كان يبعثها الباي إلى الجزائر عن طريق عنابة، وحسب ما أورده وليام شالرقنصل الولايات المتحدة الأمريكية أن مجموع المداخيل في مقاطعات البايات والقواد السبعة في دار السلطان لاتمثل حسب ماورد سنة 1822 إلا حوالي 150 مليون فرنك أي بنسبة 20 % بالمائة من المجموع العام من الميزانية، وهذا يرجع إلى نسبة الدخل العام، وإلى نسبة الإنتاج في البلاد[1].

المبحث الثالث: الصناعة وأهم الحرف:

أولا _ النشاطات الصناعية بمدينة قسنطينة:

عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني نشاطات حرفية وصناعية متنوعة، منها الصناعات الإنتاجية التي تعطينا منتوج يمكن استغلاله محليا أو تصديره، مثل صناعة الجلود والنسيج والخشب وغيرها من الصناعات المنتجة، والصناعات الخدماتية الغير المنتجة فهي تتميز بالبساطة مثل القهواجيين والدلالين والحمالينوالحفافين ...الخ وقد مكنت هذه النشاطات الحرفية الصناعية من جعل مدينة قسنطينة تحقق اكتفاء ذاتيا لتصنف كثاني مدينة صناعية من حيث النشاط الصناعي والتجاري في الإيالة الجزائرية [2].

وكان لفترة صالح باي (1771- 1792 م) يد في ذلك، إذا اهتم بالصناعة وشجع اصحابها على مختلف مهنهم و حرفهم، ونظم الأسواق و الطوائف الحرفية فأصبحت قسنطينة في عهده تعج بالورش المختلفة والأسواق المزدهرة العامرة، فهناك 28 سوقا وسويقة و21 ممرا تجاريا و3 رحبات لعرض السلع[3].

(1)سعودي يمينة،الحياة الأدبية في قسنطينة، المرجع السابق، ص 48.

[2]ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص 249.

[3]محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 64.

فقد خضعت هذه الصناعات لمراقبة وتحكم من طرف النقابات المهنية، فكانت لكل حرفة أمين يراقب جودة المنتج ويشرف على تحديد سعر السلع المنتجة [1].

ومن أهم الصناعات التي كانت تزخر بها المدينة نذكر:

1_ الصناعة الخشبية:

كانوا يصنعون الصناديق، والأبواب والنوافذ والأثاث المنزلي والسفن وغيرها من الأدوات الخشبية، ويجلبون المادة الأولية من الخشب من غابات الأوراس والقبائل[2].

ولقد بلغت نسبة الصناعة الخشبية في قسنطينة حوالي 722، ولعل ما يعكس أهمية هذا النشاط هو وجود سوق الناجرين الذي يقع على الشطر الجنوبي للشارع الرئيسي، وينتهي عند طريق الفرعي يتجه إلى الغرب بشكل متعامد على الشارع الرئيسي [3].

2_ الصناعة المعدنية:

لم تكن في القوة والازدهار الذي كانت تعيشه الصناعة الأوروبية، وإنما كانت بطرق التقليدية البسيطة، فان هذه الصناعة المعدنية لم تشهد تطورا ملموسا لا من حيث الكمية والكيفية[4].

فإنه كانت تتعلق بتحضير مواد البناء، وتذويب المعادن كالحديد والفضة والزنك، واستخراج الملح وصناعة العملة، وتحضير البارود فقد وجد بمدينة مصنع للبارود يعمل به عشرون عاملا [5].

3_ صناعة الجلود:

تعتبر مدينة قسنطينة أهم مركز لصناعة الجلود في العهد العثماني، إذا اشتملت هذه الصناعة على 33 معملا لدباغة في المدينة[6].

---

[1] ناصر الدينسعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792_ 1830، ص 35 .

[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 337.

[3] عبد القادر دحدوح، أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مجلة دراسات في أثار الوطن العربي، ص 634 .

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 34 .

[5] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق ، ص66.

[6] أندري برنيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبولي رابح مصطفى ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984م، ص 204.

إذا كان يعمل بها أكثر من 15 من اليد العاملة، تتوزع حسب الترتيب التالي: 150 عاملا في المدابغ، و210 عاملا في المشاغل المعدة لصنع السروج و480 عاملا يشتغل في 167 محلا لصنع الأحذية[1].

4-صناعة النسيج:

تطورت هذه الصناعة على أيدي الأندلسيين الذين توارثوا الأساليب الفنية، لصنع الزرابي والأقمشة والقطيفة، فقد اشتهرت قسنطينة بصناعة الأنسجة الصوفية، فكانت تصنع الأغطية والجلاليب، والأحزمة[2].

وكان النساجون يصنعون بالإضافةإلى هذا، الحايك والأحزمة والزرابي المشابهة لزرابي المشرق، والبرانيس والطيلسان لحمولات الحيوانات [3].

5- الصناعة الغذائية:

وتتوزع على أفران الخبز ومطاحن الدقيق، فقد كانت مدينة قسنطينة تضم العديد من المطاحن التي بلغ عددها 27 مطحنة للحبوب، 5 منها تعمل داخل المدينة تطحن 484كيسا من الدقيق و الباقي خارجها [4]؛ ويضاف إلى هذا صناعة تخفيف الفواكه، وتحضير المربى وتقطير ماء الورد التي اختصت بها العائلات الأندلسية العريقة التي كانت تسكن المدينة [5].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص69 .

[2] نفسه، ص 70.

[3] أندرى برنيان وآخرون، المرجع السابق، ص 176.

[4] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص، 75.

[5] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، نفسه، ص 70.

وفيما يلي جدول لأهم الصناعات نسب الحرفيين في كل نوع من الصناعة، المأخوذ من سجل المحكمة الشرعية لمدينة قسنطينة، والمؤرخ سنة 1790- 1795[1].

الصناعات	النسب الحرفين
الصناعة الجلدية	41.40%
الصناعة النسيجية	25.98%
الصناعة المعدنية	45.01%

يظهر من خلال هذا الجدول أن الصناعة الجلدية؛ هي الأكثر عدداإذا تأتي في مقدمة الصناعات، مما يكشف فعلا عن مدى اشتهار المدينة بهذا النوع من الصناعة خاصة في مجال الدباغة، وترتبط هذه الصناعة بالصناعة النسيجية خاصة الصوفية منها مما جعلها تحتل المرتبة الثانية، ونشير هنا إلىأن هذه النسب لا تعبر عن النسب الدقيقة للصناع والحرفيين بالمدينة وإنما هي نسبية إلىأبعد الحدود.

ثانيا_أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية:

تعد الأسواقأحد العناصر الأساسية التي تتشكل منها المدن، و قد عرفت مدينة قسنطينة كغيرها من المدن الجزائرية بأسواقها ومتاجرها، وفي ذلك يقول حسن الوزان؛ وأسواق المدينة عديدة حسنة التنسيق وجميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض، وفيها عدد كبير من التجار[2].

[1] عبد القادر دحدوح، المرجعالسابق، ص 644.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ص 56.

فقد جاء في مخطوط دفتر الأحباس مدينة قسنطينة للشيخ محمد بن أبي عبد الله بن نعمون إن مدينة ضمت 29 سوق موزعة في أرجاء المدينة، وتنقسم إلى نوعين من الأسواق أسواق عامة وأسواق خاصة[1].

وكانت إدارةالأسواق هذه موكلة إلى مجموعة من الموظفين في مقدمتهم قائد السوق أو مفتش السوق [2].

وفيما يلي نذكر أسواق مدينة قسنطينة:

1_ الأسواق العامة:

كانت تعرض فيها مختلف السلع، ولا يمارس فيها أي حرفة أو حرفة، وفيما يلي قائمة 17 سوقا من الأسواق العامة المذكور في المخطوط.

	الأسواق العامة		الأسواق العامة
01	سوق باب الواد	09	سوق الموقف
02	سوق البركة	10	سوق الغدير أبي الغازات
03	سوق بني عاتي محمد	11	سوق الغزل
04	سوق التجار	12	سوق باب القنطرة
05	سوق رحبة الصوف	13	سوق باب القصبة
06	سوق زقاق البلاط	14	سوق بن ثعلب
07	سوق الكبير	15	سوق هوارة
08	سوق الخلق	16	سوق بن مقالف

[1] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 629.

[2] محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص 23.

2_ الأسواق الخاصة:

كانت في مدينة قسنطينة عدة أسواق متخصصة، وهي في غالبيتها تتوزع على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الواد وباب القنطرة وتتمركز خاصة في سوق التجار، و من أهم تلك الأسواق نذكر[1].

	الأسواق المتخصصة		الأسواق المتخصصة
01	سوق العطارين	09	سوق البرادعين
02	سوق السراجين	10	سوق الخضارين
03	سوق الصباغين	11	سوق الخراطين
04	سوق الشبارليين	12	سوق الناجرين
05	سوق الصاغة	13	سوق الخراشفيين
06	سوق الحدادين	14	سوق الرقاقين
07	سوق القزازيين	15	سوق الدباغين
08	سوق القصاعين	16	سوقالحلفائيين

إن هذه الأسواق تنم على قوة التفاعل الاقتصادي والاجتماعي في المدينة، وهذا مرده لتنوع الإنتاج والنشاطات الصناعية الحرفية الموجدة في المدينة التي تجعل من نشاطها الحيوي اليومي مصدرا لازال خزينة البايليك.

[1] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص 634.

ثالثا- مميزات الصناعةفي مدينة قسنطينة:

اتصفت الصناعة في مدينة قسنطينة بعدة خصائص، يمكن أن نشير إليها في النقاط التالية:

_ اعتمدت الصناعة في مدينة قسنطينة على المواد الأولية، المتوفرة بالبلاد كالصوف والجلد والخشب.

_ اتصفت بكونها صناعة كمالية ترفيهية في المدن، تتميز بدقة الصنع ورقة الذوق كالأحزمة والشواشي والأقمشة الحريرية [1].

_ خضعت الصناعةفيالمدينة لمراقبة وتحكم من طرف نقابات مهنية متخصصة، التي كانت تشرف على الحرص على جودة البضائع وتحديد كميتها، لكن أنظمة هذه النقابات تحولت مع مرور الزمن إلى عائق في وجه التطور الصناعي[2].

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 37.

[2] ناصر الدين سعيدوني ومهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 71 .

خلاصة الفصل:

عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ازدهار في الحياة الاقتصادية وخاصة في الجانب الزراعي، فقد اختلفت وتنوعت المنتوجات الزراعية، وذالك من خلال اهتمام السكان بالزراعة كما انقسمت الأراضي الزراعية إلى اقطاعات محلية وأملاك واقطاعات دينية، حيث تتم الاستفادة من المحاصيل الزراعية إلى فائدة الأسر المحلية والحكام كما فرضت على الأراضي الضرائب التي تفرض على الماشية والزرع لفائدة الحكام.

كما كان لتجارة أيضا دور هام في ازدهار الحياة الاقتصادية وذلك باعتبار قسنطينة تتموقع في موقع استراتيجي هام، والذي يعتبر مسلك بين الشرق الغرب تسلكها القوافل التجارية مما أكسبها حرجة تجارية متنوعة انقسمت التجارة إلى نوعين داخلية وخارجية فقد احتوت التجارة الداخلية على العديد من الأسواق الأسبوعية والسنوية.

خـــاتمـــــة

خاتمة:

من خلال ما تناولناه في هذا الموضوع ، الموسوم بعنوان:"**الأحوالالعامةفيمدينةقسنطينةمنخلالمؤلفاتالعنتري**"، واستنادا للمعلومات التي عرضناها وحللناها في الدراسة توصلنا إلى رصد مجموعة من النتائج أهمها:

– حظيت مدينة قسنطينة بموقع استراتيجي هام، مكنها من أخد الريادة على مستوى الشرق الجزائر فهي تتوسط إقليم شرق الجزائر، الذي يعد هذا الآخر من أحد الأقاليم الاقتصادية والسكانية الرئيسة في الدولة.

– عرفت مدينة قسنطينة العديد من التسميات عبر تاريخيها الطويل، وكان لكل تسمية من تلك الأسماء خلفية تاريخية.

– كما توافد عليها العديد من الحضارات الإنسانية، التي تركت بصمتها وأخذت أحسن ما فيها من تراثها الحضاري والعمراني والثقافي.

– قسنطينة من بين المدن الجزائرية التي دخلت تحت الحكم العثماني، تميز الحكم فيها بتداول السلطة وكثرة حكامها إذا تعاقب على حكمها أكثر من 42 باي، وكان الحكم فيها بين الاستقرار والتدهور.

– عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني نظاما إداريا تمثل في سيطرة العناصر المحلية على الوظائف الإدارية، حيث ارتبط نظام الحكم في المدينة بهيئة من الموظفين يشرفون عليه ويؤثرون على مختلف أجهزته ومصالحه، وذلك تماشيا مع تقسيم السلطات الممنوحة لهؤلاء الموظفين والمكانة التي كانوا يحتلونها في هرم السلطة الإدارية، في حين أن الوظائف الإدارية في الأرياف استندت فيه إلى الأعراش والقبائل المخزنية التي كانت تنفذ أوامر الأتراك ثم أصبحت وسطية.

– عرف المجتمع القسنطيني العديد من الفئات والشرائح الاجتماعية، منهم العرب والأتراك، والكراغلة والتي ساهمت في تغير الواقع الاجتماعي، بحيث كان لكل عنصر من هذه الفئات إسهاماته الخاصة في مختلف المجلات.

خاتمة:

– تجلت مظاهر الحياة الثقافية بقسنطينة من خلال المؤسسات التعليمية الدينية المتواجدة بالمدينة بمختلف أنواعها من مساجد وزوايا ومدارس ومكتبات عامة وخاصة، والتي كان له دورا كبيرا في تثقيف وتعليم مختلف شرائح المجتمع وذلك من خلال الدور الهام الذي لعبه المدرسين والعلماء في تقديم الدروس لتلاميذ والطلبة.

– عرفت مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ازدهار في الحياة الاقتصادية، و خاصة في الجانب الزراعي فقد اختلفت وتنوعت المنتوجات الزراعية وذلك من خلال اهتمام السكان بزراعة بحيث انقسمت الأراضي الزراعية إلى اقطاعات محلية وأملاك واقطاعات دينية، واستفاد الحكام والأسر المحلية من المحاصيل الزراعية، كما فرضت على الأراضي الضرائب والعشور التي كانت تعود لفائدة الحكام.

– كان للصناعة نصيب من هذه الحركة الاقتصادية و تجلى ذلك في مجموع الصناعات الحرفية التي كانت رائجة في المدينة، والأسواق التي ملأت شوارع المدينة.

– كما كان لتجارة أيضا دور مهم في ازدهار الحياة الاقتصادية، وذلك بفضل الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به المدينة، والذي أهلها لان تكون مدينة تجارية تتميز بشبكة كثيفة من الطرق والمواصلات التجارية فكانت مسلك للقوافل التجارية بين الشرق والغرب، وانقسمت التجارة فيها إلى نوعيين داخلية وخارجية.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد أسهمنا ولو بشكل بسيط في إنجاز عمل علمي يسهم في تشكيل صورة واضحة حول الأحوال العامة التي عاشتها مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني.

الملحق رقم 01: قائمة بايات قسنطينة.

الملحق رقم 02:مدينة قسنطينة في العهد التركي.

الملحق رقم 03: صورة الباي صالح.

الملحق رقم 04: جامع الغزال من العهد التركي بقسنطينة.

الملحق رقم 05: قبر الباي صالح.

الملحق رقم 06: المقابر التركية التي دفن فيها الباشاوات والدايات.

الملحق رقم 01:

	اسم الباي	فترة حكمه
01	رمضان تشولان باي	1567-1574م
02	جعفر باي	1574-1588م
03	محمد بن فرحات باي	1588-1608م
04	حسين باي	1608-1622م
05	مراد باي	1622-1647م
06	فر حات أي	1647-1653م
07	محمد باي بن فرحات	1653-1666م
08	رجم باي	1666-1674م
09	خير الدين باي	1674-1676م
10	دالي باي	1676-1679م
11	باشا آغا باي	1679-1688م
12	شعبان باي	1688-1692م
13	علي خوجة باي	1692-1700م
14	أحمد باي بن فرحات	1700-1703م
15	إبراهيم باي العلج	1703-1707م
16	حمودة باي	1707م
17	علي باي بن حمودة	1708م
18	حسين شاوش باي	1708م
19	عبد الرحمن باي فرحات	1709م
20	حسين دنفرلي باي	1710م

	اسم الباي	فترة حكمه
21	علي بن صالح باي	1710-1713م
22	قليان حسين باي (بوكمية)	1713-1736م
23	حسين باي (بو حنك)	1736-1754م
24	حسين باي زرق عينو	1754-1756م
25	أحمد باي القلي	1756-1771م
26	صالح باي	1771-1792م
27	إبراهيم باي بوضبع	1792م
28	حسين باي حسن بوحنك	1792-1795م
29	مصطفى باي الوزناجي	1795-1798م
30	مصطفى انفليز باي	1798-1803م
31	عصمان باي	1803-1804م
32	عبد الله باي	1804-1806م
33	حسين باي ولد صالح باي	1806-1807م
34	علي باي بن يوسف	1807-1808م
35	أحمد شاوش القبايلي	1808م
36	أحمد طبال باي	1808-1811م
37	أحد بايات قسنطينة	
38	حاج أحمد باي- آخر بايات قسنطينة	1826-1837م

[1] محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، المصدر السابق.

الملحق رقم 02:

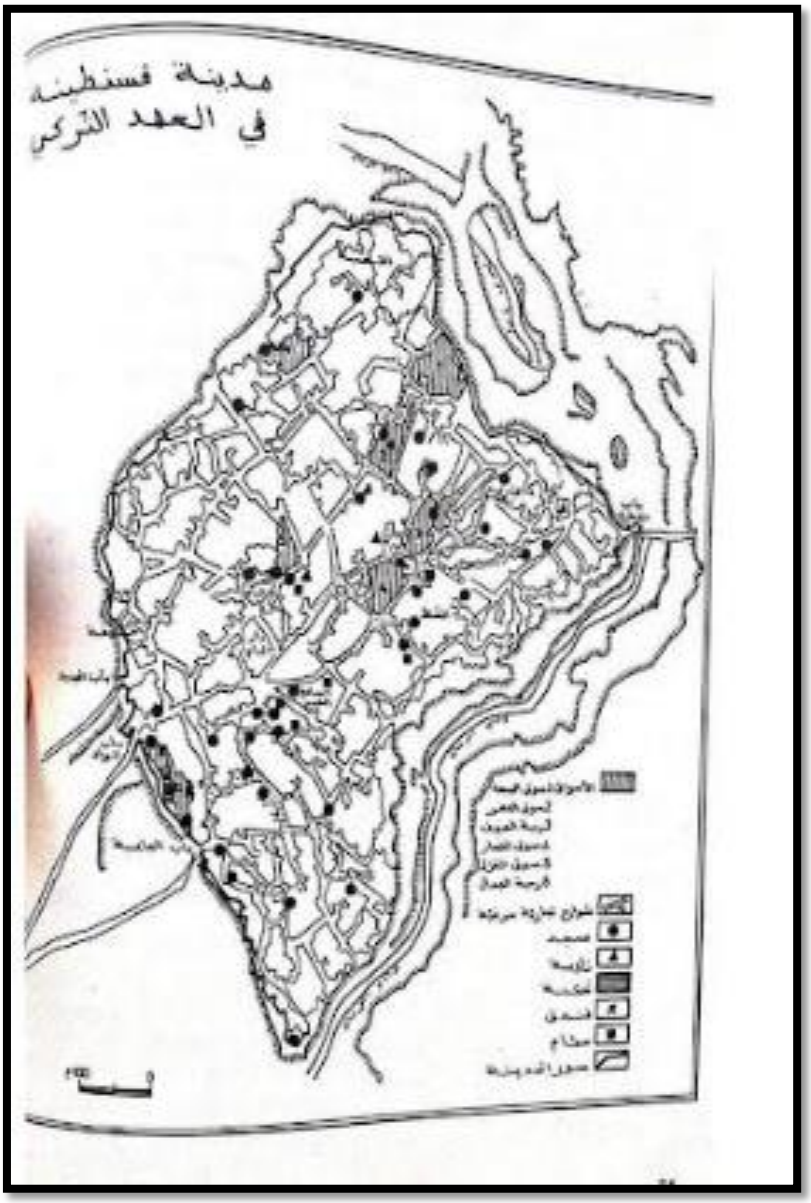

[1] محمد الهادي لعروق، المرجع السابق.

الملحق رقم 03:

[1]موقع قسنطينة مدينتي، تاريخ الإطلاع: 2022/05/22، سا: 18:31..

الملحق رقم 04:

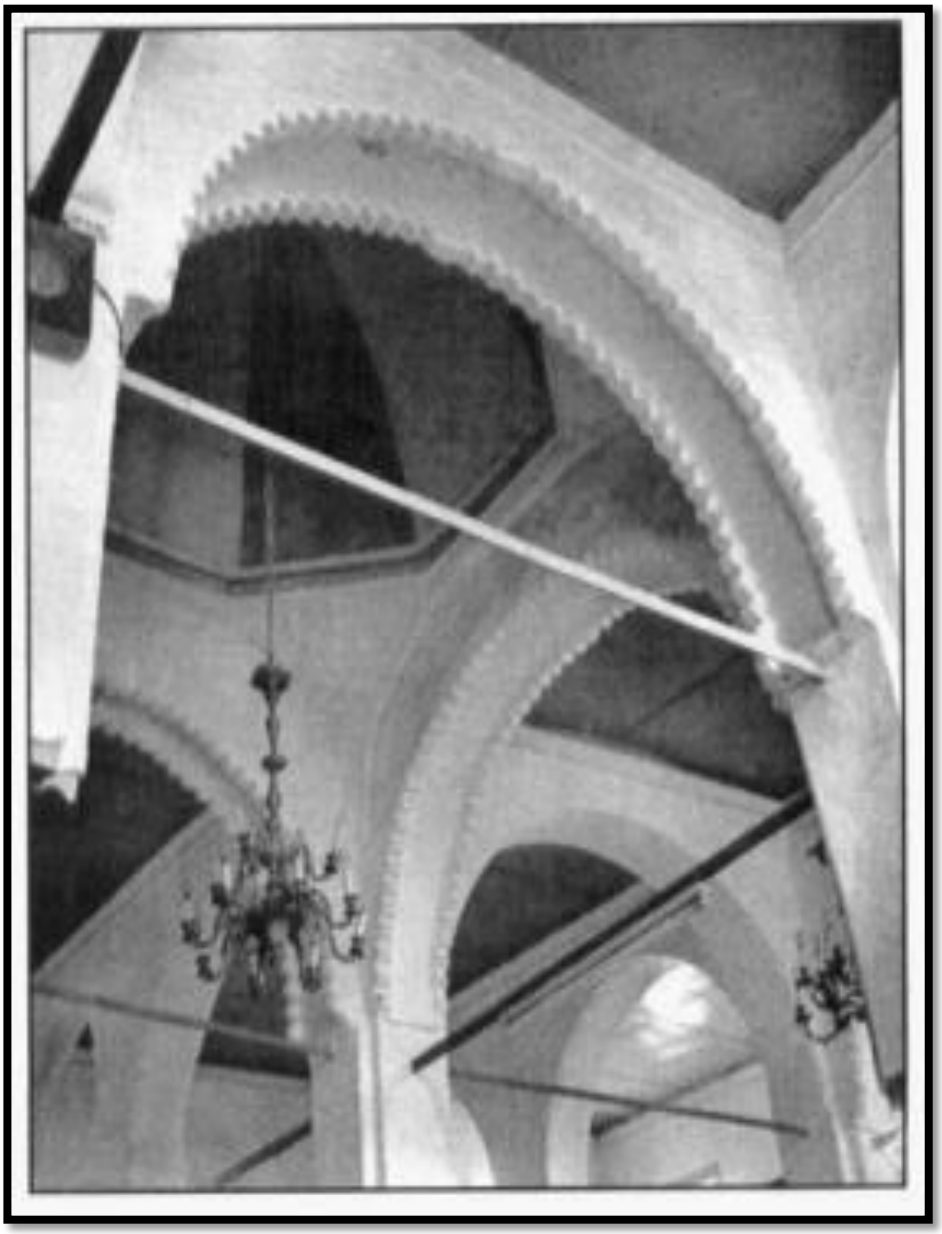

(1) أ. د عبد المنعم الجميعي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص22.

الملحق رقم 05:

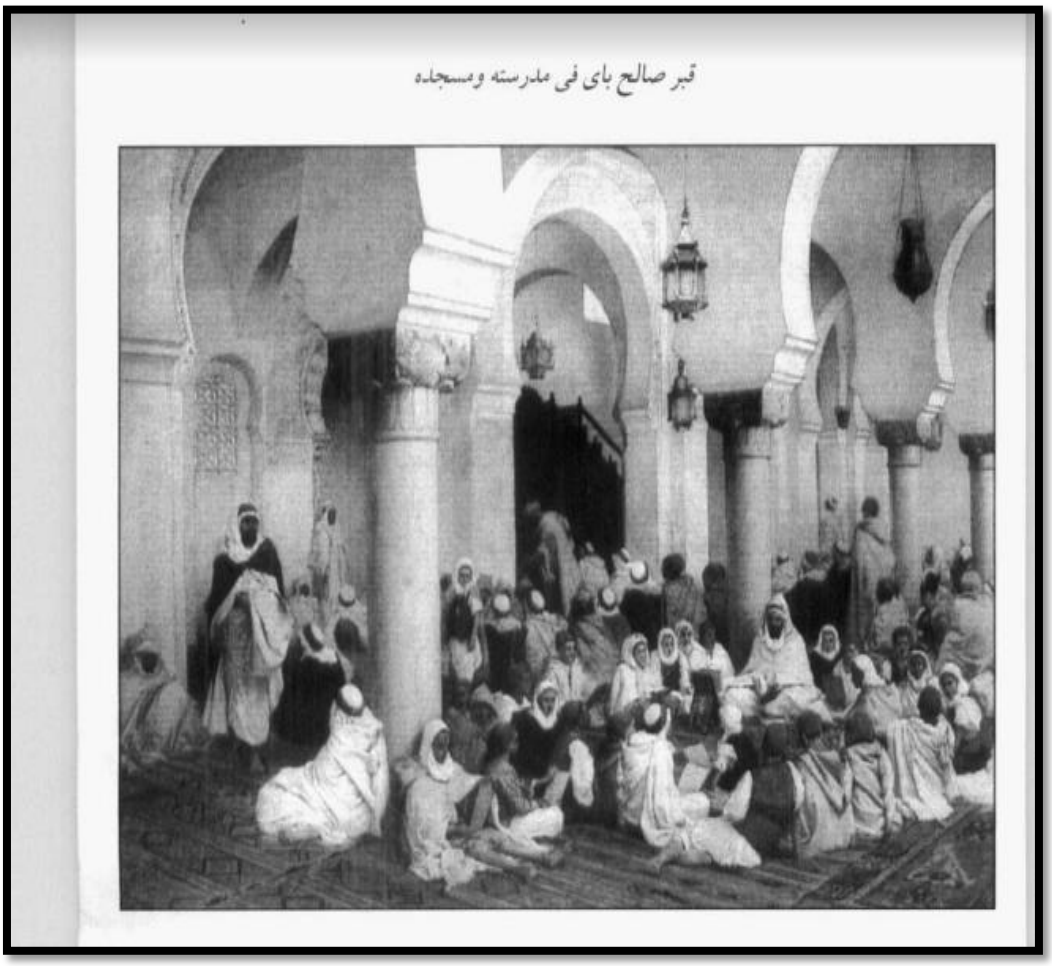
قبر صالح باي في مدرسته ومسجده

(1) أ. د عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص27.

الملحق رقم 06:

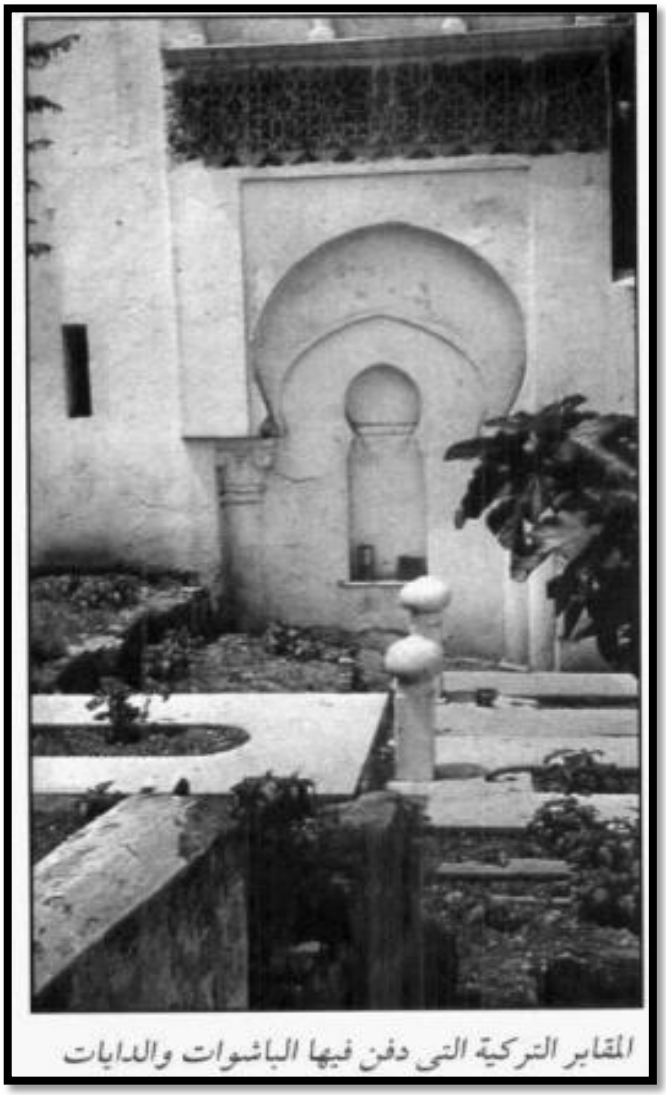

المقابر التركية التي دفن فيها الباشوات والدايات

[1]أ. د عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص22.

قـائمة الـمصـادر والـمـراجع

قائمة المراجع والمصادر:

أ- قائمة المصادر:

1.الحاج أحمد الشريف الزهار، **مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب إشراف الجزائر 1753-1830**، تق وتح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1830م.

2.الحاج أحمد بن أمبارك بن العطار، **تاريخ بلد قسنطينة 1790 – 1870**، تح: عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.

3.الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983م.

4.حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.

5.فنلدين شلوصر، **قسنطينة أيام أحمد باي 1832- 1837**، تر: أبو العبد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

6.مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج 3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

7. محمد بن صالح العنتري، **تاريخ قسنطينة**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

8.محمد بن الصالح العنتري، **تاريخ قسنطينة**، تح: يحي بوعزيز، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، 1977م.

9.محمد بن صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق رابح بونار، دخائر المغرب الإسلامي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

10. أوجان فايست، تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية1517-1837، ترجمة، أحمد سيساوي، دار كنوز يوغرطة، ط1.

ب- قائمة المراجع:

قائمة المراجع والمصادر:

1. العياشي روابحي، **الاحتلال الفرنسي لقسنطينة 1837 وردود فعل أعيان**، جامعة باجي مختار.

2. أبوالقاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1830-1954، ج3.

3. أبو القاسم سعد الله، **شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية**، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1406هـ-1986م.

4أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر ص 134.

5.أندري برنيان وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح مصطفى ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984م. دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، 1984م.

6.حميدة عميراوي، **جوانب من السياسة الفرنسية ورود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري**، دار البعث للنشر والتوزيع، قسنطينة، 1984م.

7.جميلة معاشي، **الأسر المحلية الحاكمة في بأيلك الشرق الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، 2015.

8.سفيان بوذراع، **سيرتا من خلال النقشيات اللاتينية المحفوظة**، جامعة قسنطينة، ص 107.

9.عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، منشورات دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، ص 88.

10.عبد العزيز فيلالي، **جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830- 1850**، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، ص 74.

11.محمد البشيرشنيني، **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر.

12.محمد الصغير غانم، **قسنطينة عبر تاريخها القديم**، جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر، 1999م.

13.محمد الهادي لعروق، **مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران**، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، 1984م.

14.ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية دراسة وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2009، ص108.

- **المجلات العلمية والدوريات:**

1. عبد القادر دحدوح، **أسواق مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية**، مجلة دراسات في أثار الوطن العربي، ص 634.

2.فاطمة الزهراء قشي، **معالم قسنطينة وأعلامها**،مجلة الإنسانيات، مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد09 -13-2013 ص 13.

3.محمد عيسى، **الثقافة الإسلامية**، مجلة محكمة نصف سنوية تعنى بقضايا الفكر والتراث الإسلامي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، العدد 13 سنة 2015، ص 71.

4.مختاري علي، **الطاعون في الجزائر بين 1700– 1830م**، مجلة آفاق الفكرية، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس الجزائر،2021م

- **الرسائل الجامعية:**

1.ارزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني 1519– 1830**، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005- 2006م.

2.بن خيرة بن بلة،**المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، مذكرة الدكتوراه لدولة الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008م.

3.بن عمراني يوسف،**المدينة والريف في الجزائر خلال العهد العثماني**،مذكرة ماستر، المسيلة، 2019م.

4.جميلة معاشي، **الانكشارية والمجتمع ببايليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث قسم التاريخ والآثار،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م.

5.راوية جريدي،**الحياة الثقافية في قسنطينة خلال العهد العثماني**، مذكرة الماستر، 2014 جامعة المسيلة.

6.رشيدة معمري،**العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات**، مذكرة الماجستير، جامعة الجزائر 2005، ص 62.

7.سعودي يمينة، **الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية)**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005-2006م.

8.نجاة نوارة، **الإدارة المحلية في بايليك قسنطينة 1520-1830م**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م.

فهرس المحتويات

الفهرس:

العناوين	الصفحة
كلمة الشكر	/
الإهداء	/
قائمة المختصرات	/
مقدمة	06-01
الفصل الأول: التعريف بمدينة قسنطينة جغرافيا وتاريخيا.	
المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة قسنطينة.	08
المبحث الثاني: التعريف بمدينة قسنطينة تاريخيا (النشأة، أصل التسمية، أهم المحطات التاريخية).	09
المبحث الثالث:التعريف بالعنتري وأهم مؤلفاته.	16
خلاصة الفصل.	23
الفصل الثاني:الأحوال العامة في مدينة قسنطينة من خلال مؤلفات صالح العنتري.	25
المبحث الأول: الأوضاع السياسية.	25
المبحث الثاني: الأوضاع الإدارية والاجتماعية.	31
المبحث الثالث: الأوضاع الثقافية في مدينة قسنطينة.	42
خلاصة الفصل.	70
الفصل الثالث: الأحوال الاقتصادية في مدينة قسنطينة.	72
المبحث الأول: الزراعة أهم المنتوجات الفلاحية.	72
المبحث الثاني: التجارة في قسنطينة.	77
المبحث الثالث: الصناعة وأهم الحرف.	82
خلاصة الفصل.	86
خاتمة.	89
قائمة الملاحق.	91
قائمة المصادر والمراجع.	104
فهرس المحتويات.	108
ملخص الدراسة.	/

الملخص:

عرفت مدينة قسنطينة؛ عاصمة الشرق الجزائري بمكانتها المرموقة في جميع الميادين فترة دخولها تحت الحكم العثماني، حيث شهدت في هده الفترة تغيرات في الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية والثقافية وكذا الاقتصادية، كما يعتبر بايليك الشرق من أبرز البايليكات والذي عرف حياة جديدة في الجانب الاجتماعي والإداري بظهور طبقات جديدة من المجتمع والتي ساهمت كل منها في تغيير الواقع الاجتماعي والنظام الإداري الذي تمثل في سيطرة العناصر المحلية على الوظائف الإدارية.

كما تجلت مظاهر الحياة الثقافية من خلال المؤسسات العلمية المختلفة ودور علماء المنطقة في تدريس طلبة العلم؛ كما تمثلت الحياة الاقتصادية بازدهار في جميع المجالات (الزراعية، الصناعية، التجارية) كل هده التغيرات والأوضاع التي عرفتها قسنطينة مكنتها من أخد الريادة وامتياز مكنتها والتي تعاقب عليها عدة حضارات؛ ومن بين الدراسات التي اهتمت بدراسة الأوضاع العامة في قسنطينة هو دراسة المؤلف صالح العنتري والذي هو محل دراستنا والذي تحدث بشكل مفصل عن أهم المحطات والأوضاع التي عرفها بايليك الشرق.

Abstract :

The city of Constantine, the capital of the Algerian east, was known for its prestigious position in all fields during the period of its entry under the Ottoman rule. During this period, it witnessed changes in political, social, administrative, cultural and economic life, and the Beylik of the East is considered one of the most prominent beyliks, which knew a new life in the social and administrative aspect with the emergence of layers. New aspects of society, each of which contributed to changing the social reality and the administrative system, which was represented in the control of the local elements over the administrative functions.

As the manifestations of cultural life were manifested through the various scientific institutions and the role of the region's scholars in teaching science students, and the economic life was flourishing in all fields (agricultural, industrial, commercial) all these changes and conditions that Constantine knew enabled her to take leadership and privilege and empower her, which has been punished by several civilizations, and among the studies that focused on studying the general conditions in Constantine is the study of the author Saleh El-Antari, who is the subject of our study, who spoke in detail about the most important Stations and conditions known to the East Baylik.